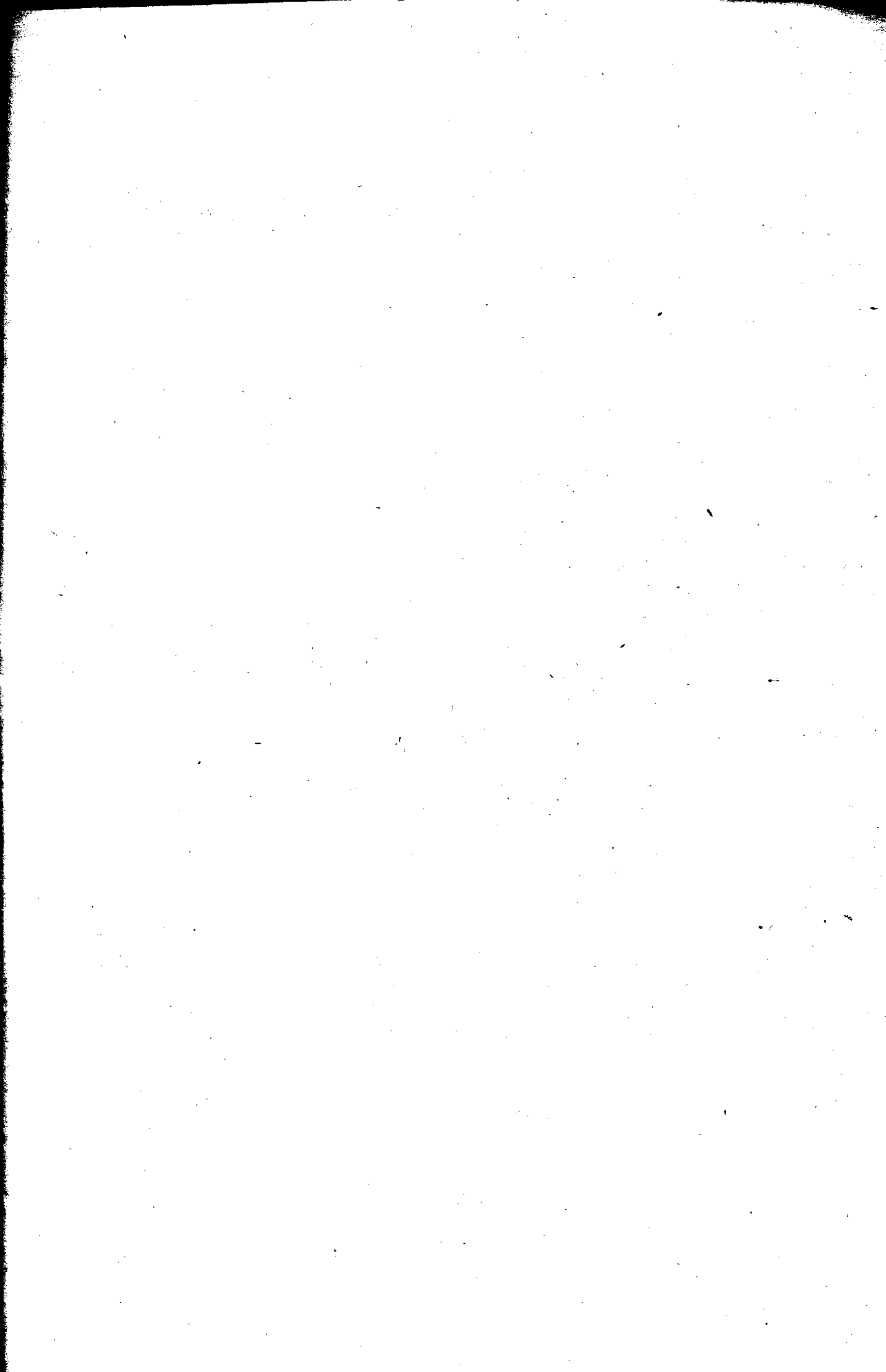




لماذا اخترت الإسلام دينا

محمد فؤاد الهاشمي

الناشر :
دار الحرية



الإهـــــداء

الى روح النبى محمد الذى أخرج النـــاس من الظلمات الى
النور باذن ربهم وهداهم الى صراط مستقيم ٠

الى أرواح السلف الصـــالـــح من الصحابة والتـــابعين الذين
أفنوا ذواتهم فى الله حتى كانت كلمة اللههى العلياوكلمة
الذين كفروا هى السفلى ٠

الى روح أستاذى الذى كان سبب هدايتى الى طريق الايمـــان
فضيلة المغفور له الشيخ يوسف الدجوى ٠

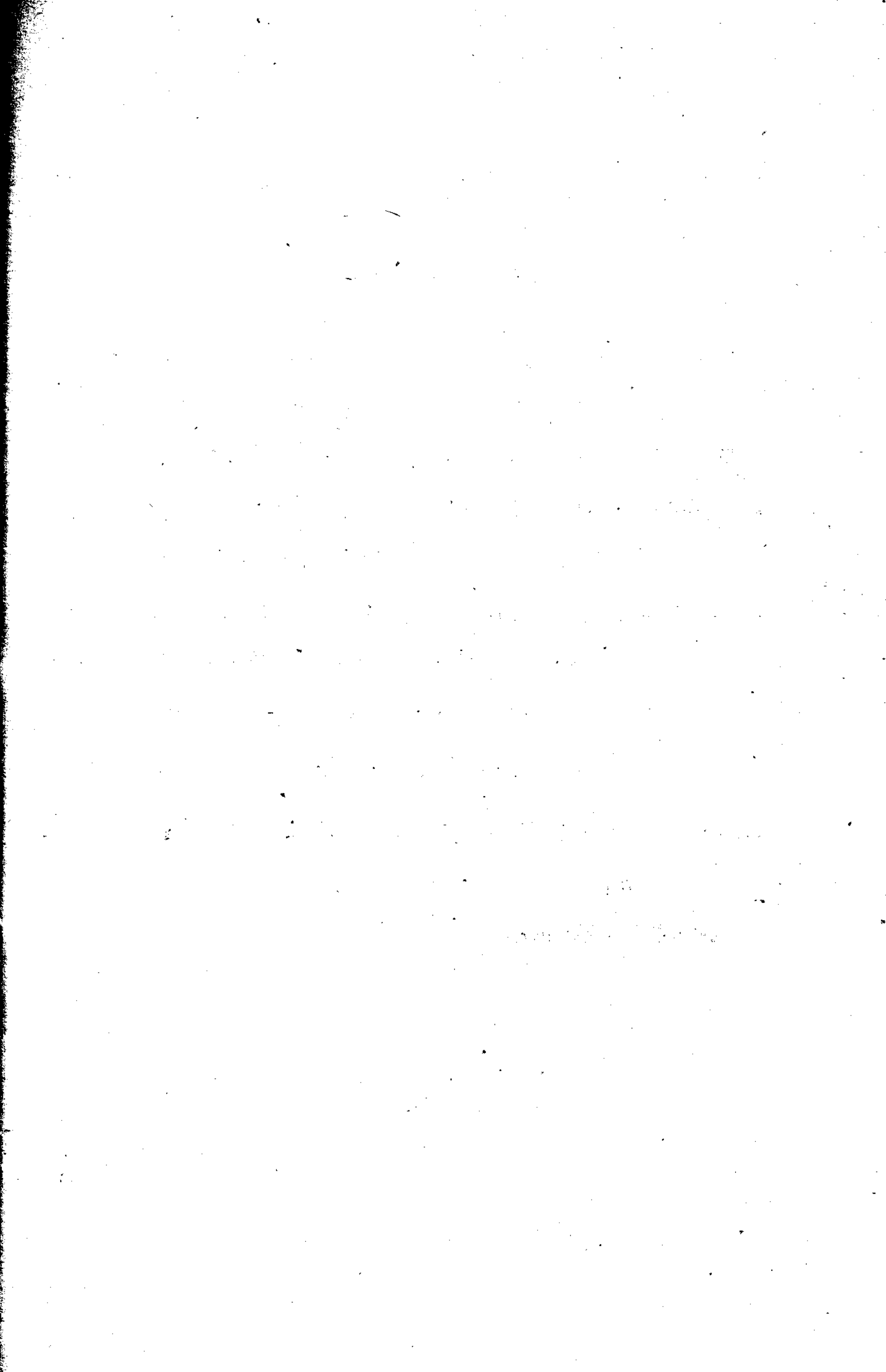
الى الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه ٠

الى كل من ساهم فى اخراج هذا الكتاب ٠

الى هؤلاء جميعا باسم الله وعلى بركةالله أهدى «سراسلامى»

المؤلف

محمد فؤاد الهاشمى



بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم الكتاب

بقلم صاحب الفضيلة الأستاذ الشيخ ابراهيم الدسوقى

ان البحث عن الحقيقة طريق القلوب الكبيرة والعقول المستنيرة ولولا ماقيض الله للبشرية من رواد لهذه الحركات على مر العصور لضلت السبيل وتنكبت الجادة .

وما كان المصلحون ولا أصحاب الدعوات الا هداة الى هذه الحقيقة وحراسا عليها ، ولقد يقبل القول منهم ويرد ، ويفتح له أقوام قلوبهم ويقول آخرون قلوبنا غلف ، ولكن الذى لا مرية فيه أن الكون أجمع ناطق بخلود هذه الحقيقة وبقائها تتحدى قوى الباطل مهما عظمت وقويت وتسمو على ما فى الحياة من فضول ووهن ، حتى يكون لها الغلب ويفىء الباطل الى رشده وتكون للحق الكلمة ولأعدائه الخذلان ، ويأبى الله الا أن يتم نوره ولو كره المبطلون .

والكتاب الذى بين أيدينا لون فريد من ألوان البحث يروى قصة الصراع المرير بين نزعات متضادة لكل منها أنصار الى أن يخلص الى تجلية الحقيقة التى من أجلها ضحى صاحبه بجميع ما يعتز به الذين أخلدوا الى الأرض واشتروا بآيات الله ثمنا قليلا • مهاجرا الى الله ورسوله الى حيث الطمأنينة واليقين فى رحاب العقيدة الاسلامية المصفاة عقيدة التوحيد الخالص التى لها عاش محمد بن عبد الله وصحبه ، وفى سبيلها جاهد حتى أتاه اليقين •

فالى أولئك الذين استهوت أفئدتهم المبادىء الزائفة واستحوذ عليهم الشيطان فأنساهم ذكر الله وران على قلوبهم ماكانوا يكسبون فضلوا على علم واتخذ كل منهم الهه هواه •

الى أولئك الذين تنكروا لكل المبادىء والقيم ولووا رءوسهم يصدون عن السبيل ويبغونها عوجا ، الى كل أولئك نسوق قول الله سبحانه : « **قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين يهدى به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات الى النور باذنه ويهديهم الى صراط مستقيم** » ، « **ربنا اننا سمعنا مناديا ينادى للايمان أن آمنوا بربكم فامنا** » •

ربنا آتنا من لدنك رحمة وهيء لنا من أمرنا رشدا •

قيمة العقل فى اعتبار الإسلام

كلمة لفضيلة الأستاذ عبد الرحمن النجــار
مدير عام المساجد

من البدهيات التى لا يشك فى صدقها انسان أن لفظــة واحد « اذا أطلق ، لايدل على أن هنــاك مشاركا له فى العددية ، كما أن لفظ ثلاثة لايمكن أن يؤدى الى واحد أبدا ٠٠ من هنا نستطيع أن نقول : ان الايمان بالوحدانيــة هو مقتضى العقــل الســليم ، لذلك تجد العقيدة الاسلامية عقيدة العقل والفكر والمنطق السليم فالدين الاسلامى دين عقلى ، واذا تصفحت القرآن ، وتلوت قــدرا منــه وجدت الآيات تلو الآيات تطلب الى الانسان أن يفــكر ويتــــدبر ، وينظر ويتأمل ، وأن يعتبر ويستنبط وما الى ذلك من أعمال العقل ووظائفــه ٠

ولقد جعلت المعرفة فى الاسلام شرطا للايمــان ، فمن اعتقــد من غير فهم ومعرفة لم يكن خيرا بكثير من غيره ، والاعتقاد الحق هو الذى ينشأ عن دليل وعن فهم واختيــار ، وليس الموروث أو الناشىء عن اضطرار أو عن التقليد المجرد ، ولقد كان الاسلام هنا ثورة على الجمــود العقلى الذى كان سائدا فى كثير من الصور ، من اتباع الآباء ورجال الكهنوت فيما كانوا يعتقدون ويرفضون ٠

الاســـلام رفض ما كان سائدا فى العصـور الوسـطى فى الجماعات غير الاسلامية ، حينما كان المهيمن على أمور الدين يقول لتابعـه : أغمض عينيك واتبعنى ، لأن ذلك امتهـان لـكرامة الانسان كانسان له عقله وارادته واختياره ، وأن عقيدة التوحيـد فى الاسلام ، تعطى للانسان قيمته ، وتحدد مكانته فى الحياة ٠

فحينما يعلن هذا النداء : أشهد أن لا اله الا الله وأشهد أن محمدا رسول الله ، يشهد الدنيا كلها أنه لا يخضع الا لاله واحد خالق قادر ، بيده الملك وهو على كل شىء قدير ، وبعد ذلك هو سيد فى هذه الحياة ، لا يستذل لفرد ، ولا يمنح القيمة لجاه أو مال أو سـلطة ، ولا يلين أمام ضـغوط فكرية أو اقتصادية أو اجتماعية ، وان صادفته تحديات وقف أمامها قويا صلبا بعقيـدته وايمانه ٠ والامة التى تتكون من أفراد لهم هذا المبدأ وذلك الايمان أمة مثاليـة تعيش عزيزة فى دنيـا النـاس ٠ وماأحوجنا ـ نحن أتباع عقيدة الاسلام ـ الى أن نتزود من تعاليم ديننا وأن نفيد من توجيهـاته ، حتى نحقق الخيرية التى أرادها الله لهـذه الأمة فى قوله تعالى : « **كنتم خير أمة أخرجت للنـاس ٠ تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله** » ٠

وبين يديك أيها القـارىء العزيز كتاب : « سر اسلامى » وهو أحد المشاعل التى تضىء للسائرين طريق الحقيقـة ، وتقودهم الى معالم النور فاقرأه بعقلك ٠٠٠ وتفكر فى وضع أمتك الاســلامية بين الأمم ٠

(قل انما أعظكم بواحدة ، أن تقومـوا لله مثنى وفرادى ثم تتفكروا)

مقدمة

الحمد لله الذى هدانا الى نعمة الايمان به « **من يهد الله فهو المهتدى ومن يضلل فلن تجد له وليا مرشدا** » (١)

وأشهد أن لا اله الا الله يهدى لنوره من أراد أن يعتصم به « **ومن يعتصم بالله فقد هدى الى صراط مستقيم** » (٢)

سبحانك ربى رضيت لنا الاسلام دينا وبعثت فينا محمدا بشيرا ونذيرا . ذكرته فى كتبك المنزلة على رسلك الذين سبقوه « **الذين يتبعون الرسول النبى الأمى الذى يجدونه مكتوبا عندهم فى التوراة والانجيل . يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم اصرهم والأغلال التى كانت عليهم** » (٣) اللهم صل وسلم وبارك على ذلك النبى محمد النور الهادى المبين ، وعلى آله وصحبه حق قدره ومقداره العظيم .

أما بعد :

---

(١) سورة الكهف آية : ١٧ . (٢) سورة آل عمران آين : ١٠١

(٣) سورة الاعراف آية : ١٥٧ .

كان من فضل الله على أن شرح الله صدرى للاسلام (**فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للاسلام**) [1] وبذلك كنت على نور من ربى « **افمن شرح الله صدره للاسلام فهو على نور من ربه** » [2] .

فكان من ألزم الواجبات التى أراها فرض عين أن أشكر المنعم الذى أنعم على بنعمته الكبرى أن هدانى للايمان (**قل لا تمنوا على اسلامكم بل الله يمن عليكم أن هداكم للايمان ان كنتم صادقين**) [3]

وصدق ايمان المؤمن يتجلى فى عمله ، ومن أجل الأعمال التى يقوم بها المؤمن نشر رسالة الله عز وجل وتفنيد المزاعم التى يزعمها أعداء الله ، واظهار الحقائق التى طمست معالمها فغابت عن أهل الملل والنحل والأديان الاخرى ، حتى يفيق الذين يتاجرون بالأديان ليرجعوا عن غيهم ان أراد بهم ربهم رشدا .

وكذلك وجدت أنه من ألزم المستلزمات أن يكون بين يدى المسلم الذى يريد أن يجلو غوامض ما آلت اليه هذه الملل والنحل على يد كهنتها وقادتها الذين وضعوا المصباح تحت المكيال . وأخضعوا الحقيقة تحت ظاهرة الاختفاء وراء ستار من الطقوس والاقانيم كتاب بقلم عبد من عباد الله آتاه الله هدى وعلما هون عليه ترك دين آبائه وأجداده يشرح فيه الدوافع التى دفعته للايمان ، ويضمنه الاسباب التى زجت به فى معركة فكرية عاتية

---

(١) سورة الانعام آية : ١٢٥ (٢) سورة الزمر آية : ٢٢
(٣) سورة الحجرات آية : ١٧ .

اقتلعته من براثن الشرك وأوحال الضلال فصيرته من رجل يضمر العداء للاسلام وأهله الى مجاهد فى سبيل رفع كلمة الله ونصرة الاسلام ، وحولته من واقف يلصق بالاسـلام وبنيه التهم الكاذبة الى معتل المنـابر فى موقف رسول الله صـلى الله عليه وسـلم يدعو الناس الى التمسك بدينهم والعمل بكتاب ربهم وسنة نبيهم **«الحمد لله الذى هدانا لهذا وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله»**[1] وليس هذا بمستغرب حيث قطرة من بحر فيض الله تملأ الأرض ريا ونظرة من عين رضاه تصير الكافر وليا .

وهاهى رسالتى (سر اسلامى) أكتبها للمسلم الذى لم يعرفه بعد ، أن دينه الحق اذا مس شغاف قلوب الباحثين وأشـع بنوره على العقول الصافية ، قاد هؤلاء الباحثين عن وعى تام وادراك سليم الى الايمان به والتفانى فى سبيل الدعوة اليه والتضحيـة فى سبيل اعلاء كلمته بالنفس والنفيس من الأرواح والمـال **(ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة)**[2]

كما أكتبها لأهل الكتاب من اليهود والنصارى الذين طمست الكهانة أعينهم ، ليعلموا أن كتبهم التى بين أيديهم بصرف النظـر عن صحتها أو تحريفها قد اعترفت فى أكثر من موضع سـواء كان ذلك فى أسفار العهد القديم أو فى رسائل العهد الجديد أو فى كتب التاريخ المعتمدة منهم والتى تعتبر من أهم مراجعهم بنبـوة

---

(١) سورة الاعراف آية : ٤٣ (٢) سورة التوبة آية : ١١١

محمد عليه الصلاة والسلام ، وأنهم لو التزموا الحيدة التامة لوجدوا أن الاسلام صاحب السلطان على النفوس التى خلصت من شوائب العناد ، وسيطرة الاغراء المادى والدنيوى وبعد أن تكون قد توفرت لها عوامل الحيدة التامة ، وتحررت من **نير الذل** والعبودية بجميع أنواعها وأصبح الانسان وهواه تبعا لارادة الله عز وجل فيعود الى فطرته التى فطره الله عليها (**فطرة الله التى فطر الناس عليها ، لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ، ولكن أكثر الناس لا يعلمون**) [1] وأن سلفهم لو استمعوا الى الدعوة بآذان متفتحة حينما دعاهم نبى الهدى الى الايمان مأمورا من ربه (**قل يا أهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله**) [2].

لما كانت بى حاجة الى كتابة هذه الرسالة للخلف الذين ورثوا الجحود والجمود الدينى نتيجة عدم تكليفهم أنفسهم مشقة البحث عن الحقائق الهادية الى سواء السبيل .

وقد آليت على نفسى أن يكون هذا الكتاب رسالة واضحة المعالم محددة الهدف على أن تكون مرآة ساطعة تظهر صفحاتها وضاءة بنور الحق الذى هديت اليه ، دون النيل من أى دين أو مبدأ أو مذهب الا بالقدر الذى يكون ضروريا لاظهار الحق واضحا جليا ، ودون التعرض الى النواحى التى تناولتها المؤلفات

---

(١) سورة الروم آية : ٣٠ (٢) سنرة آل عمران آية : ٦٤ .

من قبل ، لأن التجارب التى مررت بها فى فترة الصراع الفكرى أدلة قاطعة وبراهين ناصعة ومعان ملموسة وصور مجسمة تصرخ كلها بالجرائم البشعة التى ارتكبها قادة الشرائع التى سبقت الاسلام ، فقد انحدر الكهنة ورجال الدين بالأديان وخرجوا بها بعيدا عن الطرق التى رسمتها تلك الشرائع .

وأكتب أيضا هذه الرسالة الى الماديين الذين يجادلون فى الله بغير علم فينزعون الى المماراة فى وجود الله وينظرون الى الأديان على أنها مسكنات لأتباعها ، وعكفوا على هواهم واتبعوا كل شيطان وخدعهم البريق الخاطف فانخدعوا بالمظاهر الكاذبة التى أعمتهم فجعلتهم لا يرون الحقيقة التى تقول أنهم ماضون الى عذاب السعير **(ومن الناس من يجادل فى الله بغير علم ويتبع كل شيطان مريد ، كتب عليه أنه من تولاه فأنه يضله ويهديه الى عذاب السعير)** (١) .

أكتب هذه الرسالة الى هؤلاء وأولئك لأبين لهم من وحى ايمانى بعد الدراسة العميقة والرغبة التى صحبت هذه الدراسة فى الوصول الى حقيقة الأمر الذى فيه يختلف الناس كل يحاول النصر لملته أو نحلته أو اظهار دينه باعتبار أن دينه الحق وأن باقى أصحاب الأديان الاخرى فى ضلال مبين مما حدا بى الى الحيدة التامة والتزام صفة القاضى الذى يريد أن ينصف نفسه فيختار طريق العدالة الذى يرتاح اليه ضميره ، فتجردت من كل دين وتحررت من كل عقيدة وذلك بعد أن استولت على الشكوك

---

(١) سورة الحج آية : ٣ ، ٤

قيما أدين وبدأت تمحيص كل شيء والبحث فى كل شيء فتعرضت لدين يقول الله ثلاثة أو ثالث ثلاثة ، وصدمت بأن الله سفك دمه على الصليب تارة وأن ابنه هو الذى صلب تارة أخرى كما تفتحت عينى على أن غفران الله متوقف على ارتكاب جريمة قتل ، كما علمت أن كل بنى آدم مظلومون لأنهم خرجوا من صلب من عصى الله فورثوا الخطيئة فاستحقوا العذاب • فكان لزاما على العقل المستنير أن يشك ، بل يكفر لأنه لا يمكن أن يقتنع بترهات جعلت من الاله والدا وولدا يطبق عليه ناموس الحياة الذى يطبق على البشر •

ثم وجدت دينا يقول : الله واحد أحد فرد صمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد • لا يؤله نبيا ولا يقدس بشرا ، وأن كل عبد محاسب عما قدمت يداه • لا يجزى والد عن ولده ، ولا مولود هو جاز عن والده شيئا • وأن المغفرة من شأن الله عز وجل • وأن باب الامل مفتوح على مصراعيه لكل تائب منيب الى ربه وأن العبد لا يرث خطيئة عن سلفه •

وجدت دينا قيما يجمع بين توجيه الانسان فى دنياه وصنعه لأخراه ، نظم حياة الفرد والجماعة وتدخل فى كل شئون الحياة بحيث لا تطغى الدنيا على الآخرة ولا الآخرة على الدنيا •

(وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا وأحسن كما أحسن الله اليك) (١)

---

(١) سورة القصص آية : ٧٧

كما وجدت كتابا منزلا يهدى الى الرشـــد لا ريب فيه هدى للمتقين يتناول كل شيء وما فرط فى شيء ، فيه نبـأ السلف وخير الخلف • فيه حكم وأحكام فى احكام ، يهدى الى الصراط المستقيم لا تلتبس به الألسنة ، ولا تزيغ به الاهواء ، ولا يشبع منه العلماء ولا تنتهى حكمه ولا أحكامه ولا عجائبه ، ذلكم هو القرآن الكريم الذى نزل روحا من عنه الله على نبى الله ورسوله محمد صلى الله عليه سـلم •

(وكذلك أوحينا اليك روحا من أمرنا ما كنت تدرى ما الكتاب ولا الإيمان ولكن جعلناه نورا نهدى به من نشاء من عبادنا وإنك لتهدى الى صراط مستقيم • صراط الله الذى له ما فى السـموات وما فى الأرض ألا الى الله تصير الأمور) (١)

ووجدت نبيا لم يدع الألوهيـــة أو النبوة لله ، بل ذكر عنه فى القرآن أنه عبـــد الله ورسوله ، وذكره أصحابه على أنه عبد الله ورسوله **(سبحان الذى أسرى بعبده ليلا)** (٢) وكذلك أمر **فقال (قل انما أنا بشر مثلكم يوحى الى انما الهكم اله واحد فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولايشرك بعبادة ربه أحدا)** (٣)

ومن الشك كانت البداية ، بداية اليقين • ومن الدراسة كان الايمان كما آمن الانس والجن من قبل •

---

(١) سورة الشورى آية : ٥٢ ، ٥٣

(٢) سورة الاسراء آية : ١ (٣) سورة الكهف آية : ١١٠

« قل أوحى الى أنه استمع نفر من الجن فقالوا انا سمعنا قرآنا عجبا يهدى الى الرشد فآمنا به ولن نشرك بربنا أحدا » (١) **« ربنا اننا سمعنا مناديا ينادى للايمان أن آمنوا بربكم فآمنا »** (٢)

وانتهى بى أن أسلمت **(ومن يسلم وجهه الى الله وهو محسن فقد استمسك بالعروة الوثقى والى الله عاقبة الأمور)** (٣) وحين أسلمت كان لابد من الايمان **(قالت الأعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا)** (٤) اذن الاسلام عقيدة والايمان عمل . ولن يكون العبد مؤمنا حقا الا اذا عمل لدينه وجاهد فى سبيله بنشر دعوة الله عز وجل لأنه بإيمانه يكون من أتباع رسول الله صلى الله عليه وسلم والوارث لتلك الرسالة الخالدة التى تعتبر الدعوة اليها فرض عين على كل مسلم ومسلمة .

« قل هذه سبيلى أدعو الى الله على بصيرة أنا ومن اتبعنى »(٥)
« ومن أحسن قولا ممن دعا الى الله وعمل صالحا وقال اننى من المسلمين »(٦)

فالى العالم شرقيه وغربيه بجميع أديانه ومبادئه أقدم كتابى مستهديا ربى ، مستهدفا الخير فيما أكتب ، داعيا الله عز وجل أن يجعل هذا العمل المتواضع مقبولا عنده خالصا لوجهه .

---

(١) سورة الجن آية : ١ ، ٢ (٢) سورة آل عمران آية : ١٩٣
(٣) سورة لقمان آية : ٢٢ (٤) سورة الحجرات آية : ١٤
(٥) سورة يوسف آية : ١٠٨ (٦) سورة فصلت آية : ٣٣

وان كان هناك قصور فمعذرة لأخى القارىء وأسأله أن يسأل الله معى أن يهدينى سـواء السـبيل ، لأنى ان قصر رأيى أو ضعف، عملى افتقرت الى رحمته . لأنى أردت أن أضىء ولو شمعة صغيرة خيرا من أن اجلس مع من يسبون الظلام . ؟

اللهم انك تعلم سريرتى وعلانيتى فاقبـل معـــذرتى ، وتعلم حاجتى فاعطنى ايمانا يباشر قلبى ويقينا صادقا حتى أعلم أنـه لا يصيبنى الا ما كتبت لى ، ورضى بمـا قسمت لى ، واجعـل سريرتى خيرا من علانيتى وعلانيتى صالحة .

وأدعو الله أن ينفخ فى جهدى المتواضع روحا من عنده .

وانى لأشعر بالراحة لانى بكتابى هـذا أكون قد أديت بعض ما على من دين نحو دينى وربى انه نعم الموفق ونعم المولي ونعم النصير ...

المؤلف

محمد فؤاد الهاشمي

الفصل الأول

الدرج الأول

يقول علماء النفس أن البيئة هى المدرسة الأولى التى تغرس فى النفوس العادات التى قلما يقلع عنها الانسان الا بالتطبع والتعليم والتهذيب والتوجيه السليم . وكل هذا يحتاج الى جهد جهيد .

فكان لزاما على أن أضع بين يدى القارىء لمحة الى البيئة التى نشأت فيها لكى يتضح للقارىء السبيل التى أدت الى هدايتى وتبلور أمامه المعارك التى خضتها حتى أوتيت نور الهدى .

فقد ولدت من أبوين عريقين فى المسيحية عن أجدادهما .

متعصبين لدينهما أشد التعصب حتى أنهما لا يقبلان المناقشة فى أبسط الامور التى تمس العقيدة من بعيد أو قريب ، يعيشان فى القرية فى منزلنا الذى بنى والكنيسة على قطعة أرض واحدة لا يفصل أحدهما عن الآخر الا باب ممر صغير ، لذا كان أدوم الطقوس عندهما وأقدسها رسم علامة الصليب قبل النوم وعند اليقظة . واللسان يذكر علامة الصليب واسم الصليب فى كل فرحة وترحة . ورسم الصليب على كل شىء يراد له البركة حتى الاطفال عند البكاء فى مهودهم لتعمهم بركة الثالوث المقدس (الآب والابن والروح القدس)

نشأت وقبل أن استطرد فى سرد كيفية نشأتي أذكر حديث أبى هريرة رضى الله عنه قال : « قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (يولد الانسان على فطرته وابواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه) .

فعندما بدأ لسانى يخرج من عقاله بدأت أتلقى دروسا فى الصلاة على يدي والدتى المتدينة بل المتعصبة لدينها أشد التعصب ، وانى لا أخفى علي القارىء سرا هو أن الساعة التي كنت أقضيها بين يديها فى تعلم الصلوات والدعوات وحفظ بعض التراتيل كانت أطول من سنى حياتى الاربعة ، أقوم بعد تلك الساعة أنفس عن نفسى بالضجيج واللعب وتحطيم كل ما كان يعتبره أهل البيت مثار اقلاق لراحتهم وتعكيرا لصفو هدوئهم .

اذن كان لابد من التفكير فيما يملأ فراغ الطفل ويعود عليه بالنفع بجانب تخلص من فى البيت من الضجيج ولكن الطفل لم يبلغ سنا تؤهله لدخول المدرسة الأولية فى ذلك الوقت فكان اقتراحا مقبولا بحكم الظروف اذ لم يكن في القرية غير مكتب الفقيه المسلم وأرسل الطفل اليه حتي يستريح أهل البيت سويعات الضحي حتى الظهيرة من هرجه ووعد الفقيه بالمكافآت المجزية اذا اجتهد فى تعليمى القراءة والكتابة وظهرت النتيجة في أقرب وقت ٠

وفي يوم كنت فيه على موعد أضمره لي الغيب وخبأه القدر ، عندما خرجت وقت الظهر من مكتب الفقيه مرحا ألعب والهو في الطريق يمنة ويسرة حتي وصلت الى المنزل الذى دخلته مهرولا أتأبط كراستى وهنا ظهرت خطوط القدر العريضة فى تحويل مجريات حياتى ٠

في ردهة البيت جلس أحد الرهبان الذين يعيشون فى الأديرة بقصد العبادة والترهب ويخرجون أوقاتا متفاوتة ، اعتاد أن يزورنا فى العام مرة أو مرتين حسب خروجه من الدير ليفىء عليه أهل البيت مما أفاء عليهم الله ٠

استوقفني الراهب ومد يده مسلما فمددت يدى فاحتضنني والتقط الكراسة وسألنى أن أقرأ المكتوب فيها فتمتمت ٠٠٠

ولكى أبرهن علي جدى واجتهادى أخذت أتلو دون طلب بعض سور القرآن من جزء (عم) وفاتحة الكتاب ، وبعض الآيات التى حفظتها سماعيا بحكم وجودى مع من يحفظون القرآن وهنا كانت

الطامة الكبرى والمصيبة العظمى كما صورها الراهب ، حيث ظهر على وجهه الغضب واستبد به الألم حتي صرخ صرخة أخافتنى ، وهرع من في البيت جميعا نحو مصدر الصوت ليقفوا على الخبر وأمعن الراهب في تمثيل دور الحزين المتألم لابناء يسوع الحبيب الذى صلب من أجلهم ·

ومن شدة هول المصيبة التى ألمت بالعائلة · عقد فى المساء اجتماع ضم شمل العائلة والاقربين الجيران من المسيحيين ··· وانبرى الراهب محتدا فى حديثه يعيب عليهم ترك الاولاد بين براثن المسلمين يستمعون القرآن ويحفظونه ، مما يكون له الاثر السيء على عقيدة الاطفال ، وضعف الدين الذى يشبون عليه · وأمن الجميع على كلامه بعد مناقشة خفيفة انتهت بتدخل الام الصعيدية المتعصبة لدينها الي جانب الراهب · مما جعـــل الراهب يبتسم وظهرت علي وجهه سمات المنتصر ·

ان سرور الراهب كان له مغزى كبيرا كشف عنه حين اقترح فتح فصل دراسى يلحق بالكنيسة وأشار من طرف خفى برغبته فى ادارته وعلي ما أعتقد أن جل همه كان الهروب من حياة الدير ، ولكن راعى الكنيسة فوت عليه بغيته وأحبط خطته ، حين اقترح تعيين أحد خريجى الاكليريكية العاطلين ، معللا هذا بمساعـــدة الاكليريكي ماديا ، وضمان النفع للاطفال وذلك لما له من معلومات مدنية ودينية ··· وليذهب الراهب الى ديره ويعود بخفى حنين ·

جمعت التبرعات بنشاط تام وكان لوالدتى طول الباع فيها ، فاستحضرت النجار (····) وصنعت المقاعـد والسبورة ···

وفتحت المدرسة • وقام على ادارتها (•••) الاكليريكي بمساعدة (•••) مردد ألحان الكنيسة (العريف) بحيث يقوم الأول بتدريس الخط والحساب والثانى يعهد اليه بتحفيظ الالحان والتراتيل والترانيم والاناشيد •

ودارت الأيام وحفظت الألحان والمردات المطلوبة للكنيسة ، للرد مع الشمامسة يوم الأحد وقد حفظت الألحان بنفس الجودة التى حفظت بها بعض سور القرآن من قبل •

وبعد ستة أشهر مضت على افتتاح المدرسة حضر مطران الابروشية بمناسبة عيد العذراء وقدموا اليه تلاميذ المدرسة لنيل البركة فامتحنني فى الالحان والمردات ورسمنى شماسا للكنيسة : وحملت الشارة وهى رسم الصليب علي معصمي الايمن • وكان اختيارى شماسا نجاحا للاكليريكى والعريف استحقا عليه المكافأة التى قسمت بينهما قسمة غير متكافئة مما أدى الى الخصام الحاد بينهما فتنازعا ففشلا وكاد كل منهما للآخر • وأهمل الاطفال • وتقدم أولياء الامور للتوفيق بين الاثنين ففشلوا وأغلقت المدرسة أبوابها •

كنت سببا فى فتح المدرسة وكنت سببا فى ارفضاضها : وظللت بلا مدرسةحوالى الشهر ونصف الشهرألحقت بعدها بالمدرسة الاولية بالقرية وكانت حياة جديدة • ولكنها لم تغير من طبيعة يوم الاحد الذى كنت أنقطع فيه عن المدرسة للذهاب الى الكنيسة مصليا وشماسا يردد الالحان ويقرأ الانجيل بين اعجاب الام وفرحة الاب اللذين كانا يغمرانى بالهدايا تعبيرا عن رضائهما

وكم كانت هذه الفرحة تنقلب حزنا وأسفا عندما يعود بى الحنين فى أوقات متفرقة لترديد بعض سور القرآن وآياته التى حفظتها في كتاب القرية · حيث كان هـــذا يخلق صنفين من الشــــعور متضادين كان يوجد فى صدرى انشراحا وسرورا لما عليه تلك الآيات من قوة روحية مؤثرة تنزع منى الفؤاد الى آفاق لم أستطع تحديدها فى طفولتي البريئة التى لا تزال تتعلق بفطرتهـــا التي فطرها الله عليها · كما كان يخلق شعورا بالضيق والكآبة عنـد والدتي التى تأثرت بكلام الراهب ، فكانت توجه الى بعض اللوم في صيغة أسئلة لم لا تقرأ الالحان التى ترددها في الكنيسة ؟ ولم ولم ؟ وتختتم قولها أنها تخاف على من أن أطـرد من النعمـــة الالهية · نعمة الرب يسوع المسيح وأذهب الى الجحيم حيث يكون هناك الظلمة والبكاء وصرير الاسنان ·

ولكن ··· حيث كانت تغلب على طلاوة القــــرآن كنت أنسى الملكوت والظلمة والعويل وصرير الاســـــنان وأدندن بآيــــات الله وسبحان من يعلم الغيب ، وما سبق به علم الله كان ··· ويا أماه ليس في الامكان أبدع مما كان ·

الفصل الثانى

حذار ان تقول : محمد رسول الله

كان مخصصاللدين الاسلامى
حصـــتان فى الاســـبوع فى
المدرســة الاولية التى التحقت
بهــا ٠
وكان مدرس الحساب المسيحى
«٠٠٠٠٠» يوعز للمسيحيين من
الطلبة أن يتركوا حصص الدين
ويخرجوا الى فناء المدرسة حتى
تنقضى حصة الدين٠وانى لاذكر
مرة امتنعت عن الخــروج من
حصــة الدين التى كان يشرح
فيها المدرس قصة يوسف عليه
السلام بأسلوب مشوق ، وكم
كان غضبهذا المدرس وتهديده
اياى بابلاغ والدى ان عــدت
وظللت فى حصـــة الدين التى

كنت أشعر بالميل والحرص على حضورها • ولم أجـــد بـــدا من التوفيق بين رغبتى وبين ما يبغون الا الخروج والجلوس تحت شباك الفصل المطل على الفناء • مما سبب لى حقدا دفينا على هذا المدرس لم أستطع اظهاره الا فى حينه • وقد كانت لى معه قصة بعد ، أثرت فى مستقبلى عندما أراد الله لى الهداية •

تشاجرت مع الطالب الذى مزق كراستي أثنـــاء الفسحة • فأدخلنا الفراش الي مكتب الناظر حيث كان يجلس « هذا المدرس » وسمعته يقول أثر حديث بينه وبين الناظـــر (لا الـــه الا الله) فاستنكرت هذا عليه وحفظتها فى نفسى ولم أبدها له • استنكرت على المـــدرس الذى يأمرنا بالخروج الى الفنـــاء أثناء حصـــة الدين ويهددني بابلاغ والدى اذا لم أخرج • استنكرت عليه النطق بما يتعارض مع (باسم الآب والابن والـــروح القدس) واعتبـــرت ما صدر منه زلة • لابد من أن أنفس عن نفسى التي تمتليء بالحقد عليه •

اعتاد « المـــدرس » عنـــد انتهـــاء الدراســـة أن يخرج وخلفـــه الطلبة المسيحيون وكأنه القائد العائد من معركة وخلفه جنوده ، وان دل هذا المنظر انما يدل دلالة قاطعة على ما كان يعانيه من نقص مركب فى نفسه • ظهـــرت آثاره فى أكثر من موقف مما لا مجال له علي هذه الصفحات •

وفى نهاية درس ذلك اليوم الـــذى زل فيه لسانـــه كما كان

يتصور لي وأثناء رواحنا تقـــدمت اليه وسألتـــه في صـــورة المستنكر : ـ

ـ صدر على لسان حضرتك كلمة (**لا اله الا الله**)

ـ نعم صـــدرت منى

ـ لم تنطق بما يتعارض مع (باسم الآب والابن والـــروح القدس) ؟

ـ ضحك .... أنت لسه طفل ... كل بعقلهم حلاوة

ـ عقـل من ؟

ـ عقل المسلمين « بكسر الميم » تهكما واستهتارا

ـ أتعنى أن أقولها بينهم ؟

ـ قل ولكن حذار أن تقول (**محمد رسول الله**)

ـ من (**محمد رسول الله ؟**)

سفاك الدماء ورئيس العصابة التى تسمى بالمسلمين اللصوص .

كانت هذه المناقشة وانتهت في هذا اليوم على النحو السابق وفى اليوم الثانى غاب هو وشغل حصة الحساب مدرس الـدين بالمدرسة .

وعند دخوله سألته أسئلة تنم عن سذاجة صاحبها فى نظره ولكنها في الواقع كانت ترجمـــة لعدم تصـــديق ما قال الغائب بالامس . ولما الححت عليه أن يحدثنا عن تعاليم (**محمد رســول الله**) شرح لنا بعضا من أخلاق النبى في صورة قصص وحوادث آمنت بعدها أن مدرس الامس مفتر على (**محمد رسول الله**)

وقد تركت هذه الحصة أثرا فى نفسى وخاصة أن القدر قد مهد لها دون ترتيب أو تنظيم من جانب البشر · وكان الغيب قد مهد لهدايتى فكان لسانى ينطق دائما ودون وعى ـ **(لا الـه الا الله محمد رسول الله)**

وعندما دقت ساعة الخلاص وكتب لى الفهم الصحيح ، نبأنى العليم الخبير :

(ومن الناس من يقـول آمنا بالله واليـوم الآخر وما هم بمؤمنين يخادعون الله والذين آمنوا وما يخدعـون الا أنفسـهم وما يشعرون) (١)

وكما علمنى ربى فيما بعد مخبرا عن أمثال هذا الانسان :

(واذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا واذا خلوا الى شياطينهم قالوا انا معكم انما نحن مستهزءون) (٢)

(وقالت طائفة من اهل الكتاب آمنوا بالذى أنزل على الذين آمنوا وجه النهار واكفروا آخره لعلهم يرجعون · ولا تؤمنوا الا لمن تبع دينكم) (٣)

ولن أطيل فى شرح تطورات حياتى الأولى لأنهـا غير ما أريد أن يتضمن كتابي · انما أريد أن أبلغ هدفا وأصيب مرمى · وليس الهدف بالطور الاول من تلك الحياة المجتمعة في سنى الدراسـة الاولى · وأرجو أن أبلغ وأن أصيب فيما يلى العجالة القادمة ·

---

(١) سورة البقرة : ٨ ، ٩
(٢) سورة البقرة : ١٤
(٣) سورة آل عمران آية ٧٢ ، ٧٣

عندما كنت فى الفرقة الثانية بالمدرسة الابتدائية كون مدرس اللغة العربية الجماعة الدينية وتلك الجماعة كانت ضمن النشاط المدرسى وكان جل تلاميذها من الطلبة المسلمين • وكان اجتماعها فى بعض الايام عقب صلاة الظهر • وكانت هناك مصادمات بين بعض أعضائها من الطلبة ، وبين زملائهم من المسيحيين • نتيجة لجدل غير ذى جدوى • مما أوقـــد الغيرة في قلـــوب الطلبـة المسيحيين • اذ كان بينهم من يدعى (•••) ابن أحد القساوسة• استبدت الغيرة بهذا الطالب واستبد به التعصب لدينـــه فاقترح تأليف جماعة الدين المسيحى تتكون من الطلبة الثلاثين المسيحيين •

ولأمر ما ، كان حكمة من ناظر المدرســـة ووافق على تأليف تلك الجماعة مشترطا ألا يكون (•••) فى القيـادة ، فلم يكن بد من انتخابى رائدا لتلك الجماعة •

من يوم أن تألفت تلك الجماعة بدأ الجدل الساذج الخطير على مستقبل الطلبة علي أشده وذلك لجهل المسلمين بدينهم • اللهم الا النذر القليل الذى كانوا يتلقونــه فى المدرســـة كبعض الشعائر التعبدية ، وقصص بعض الانبياء ونبذ غير وافيـــة من السيرة النبوية • مما لا يساعد علي نصرتهم •

وكان لوقوف القس « والد الطالب » (•••) معنا من خلف الستار وتزويده لنا ببعض فنون المجادلة كنت أتغلب على فريق الجماعة الاسلامية بالثرثرة والمحاورة والمداورة وكثيرا ما قامت الاشتباكات التى كانت تظهر فريقنـا بالجبن وفريقهم بالضعف • حيث كان جهلهم بدينهم له أثر كبير في تمسكى بديني • وتصديق

القائلين ان الاسلام خرافة وهراء وشعوذة . مما جعلنى اتغالي فى المعاندة لكى أظهر بمظهر القائد الرائد الجـــدير بالقيادة . وكانت ذخيرتي تأتينى يوميا . حيث كان (...) يحمل معه كل يوم من العقد أو ما يسمي بالعقد التي لا يمكن لطالب مسلم جهل تعاليم دينه أن يرد عليها .

ولم تكن تلك آفة الطلبة وحدهم فى ذلك الوقت . انما كانت آفة أصابت غالبية المسلمين . فقد تحالف المستعمر واذنابه على ابعاد المسلم عن دينه . والدفع به بعيدا عن تعاليم الـدين حتى يظل مهزوز الايمان مزعزع العقيدة وحتى يكون من الضعف مايمكن للمستعمر من أن يبلغ مأربه وهو آمن من أن المسلم المجـــرد من روحه ان تكلم فلا يكاد يبين وكذلك يأمن أذناب المستعمر وعملاؤه بأنهم سيمضون في طريق الاستغلال وسيطرة النفوذ . فيرتكبون الفواحش ما ظهر منها وما بطن دون أن يقف في وجوههم معارض أو ناقد . ويخلو الجو للمبشرين وأصحاب المبادىء الهدامة . ينصبون شباكهم ليوقعوا فيها كل يوم مئات من مجدبى العقــول ومرضى النفوس . الذين أصبحوا أشباحا بلا أرواح . وشعب بلا روح كريشة فى مهب الرياح لا تملك لنفسها ثباتا أو استقرارا ، ولم يكن بد من تدخل بعض المدرسين وحلت الجماعتان وكان نصرا لنا معشر المسيحيين . لان جماعتنا كانت منحلة بطبيعتهـــا لان المسيحيين الثلاثين كانـــوا يتبعوننى (و ...) تعصبا للـدين لا تفهما لحقائقه .

الفصل الثالث

نهاية وبداية

خط القــدر فى طيــات صحائفه
لى تاريخــا ٠٠ حيث كانت قيــادتى
للجمــاعة المســيحية التى لم يكن
تكوينهــــــا الحقيقى الا منى ومن
ميخائيـــل ، بداية تمهيـــــد لارادة
الهية فى تحويل مجرى حياتى ٠٠٠
راعى الكنيسة ببلدتنا كان رجـــلا
طاعنا فى السن أتته المنية ووافــاه
الاجل المحتوم٠لتولد مشكلة خطيرة
وهى اختيار قسيس يملأ الفـــراغ
الذى تركه بشــرط أن يكون من نفس
البلــدة ٠ وقامت الخـــلافات على
أشدها انتهت باقتراح احد الحاضرين
فى الاجتمـــاع بانتـداب قسيس من
البطريركية ليحــل مكانه ٠ على أن

يرسل أحد الشباب الى أحد الاديرة لمدة ستة أشهر يعود بعدها قسيسا ليحتل المكان الشاغر ·

واختير فعلا ابن عامل التليفون · وكان يعمل كاتبا للحسابات بأحد المحال التجارية · وأرسل الى احدى الكنائس مدة ثم أرسل الى أحد الاديرة تمهيدا لأن يتولى المنصب ·

وفي ليلة من ليالي الصيف جلست الاسرة في احدى شرفات المنزل تسمر · وتطرق الحديث عن القسيس المنتظر · حديث يشوبه الحسد حيث كانت الفاظ الحديث كلها تنصب على القسيس المنتظر الذى شملته نعمة الرب وكان لا يستحقها لانه ليس من عائلة مرموقة · وكان بين الجلوس بعض أقاربى الذى جبل على عدم حب الخير · وتمنى زوال نعمة الغير ·

انبرى ذلك القريب يقول : يا حسرتاه ··· بعد أيام سنقبل يد ابن عامل التليفون وتكون له السلطة الروحية علينا جميعا · بعد أن كان والداه يسعدان بالتقرب الينا ·

ثم وجه الحديث لأبى ··· ليتك أبا فؤاد أرسلت فؤادا بدلا من ذلك الشاب · ولكن كان جواب أبي وأمي وعمى · انا نريد ان يكون فؤاد طبيبا أو مهندسا · ولكن القريب أدلى بالدليل تلو البرهان على أفضلية وسمو مركز القسيس الذى ينحنى أمامه الطبيب والمهندس اجلالا ولثما علي يديه فى خضوع واحترام نابعين من قداسة رسالته التي يحملها ومنصبه الذى يعتبر وكيل الله علي الارض ما يحله فى الارض يحله الله فى السماء · وما يربطه على الارض يربطه الله فى السماء وأنه تلميذ يسوع

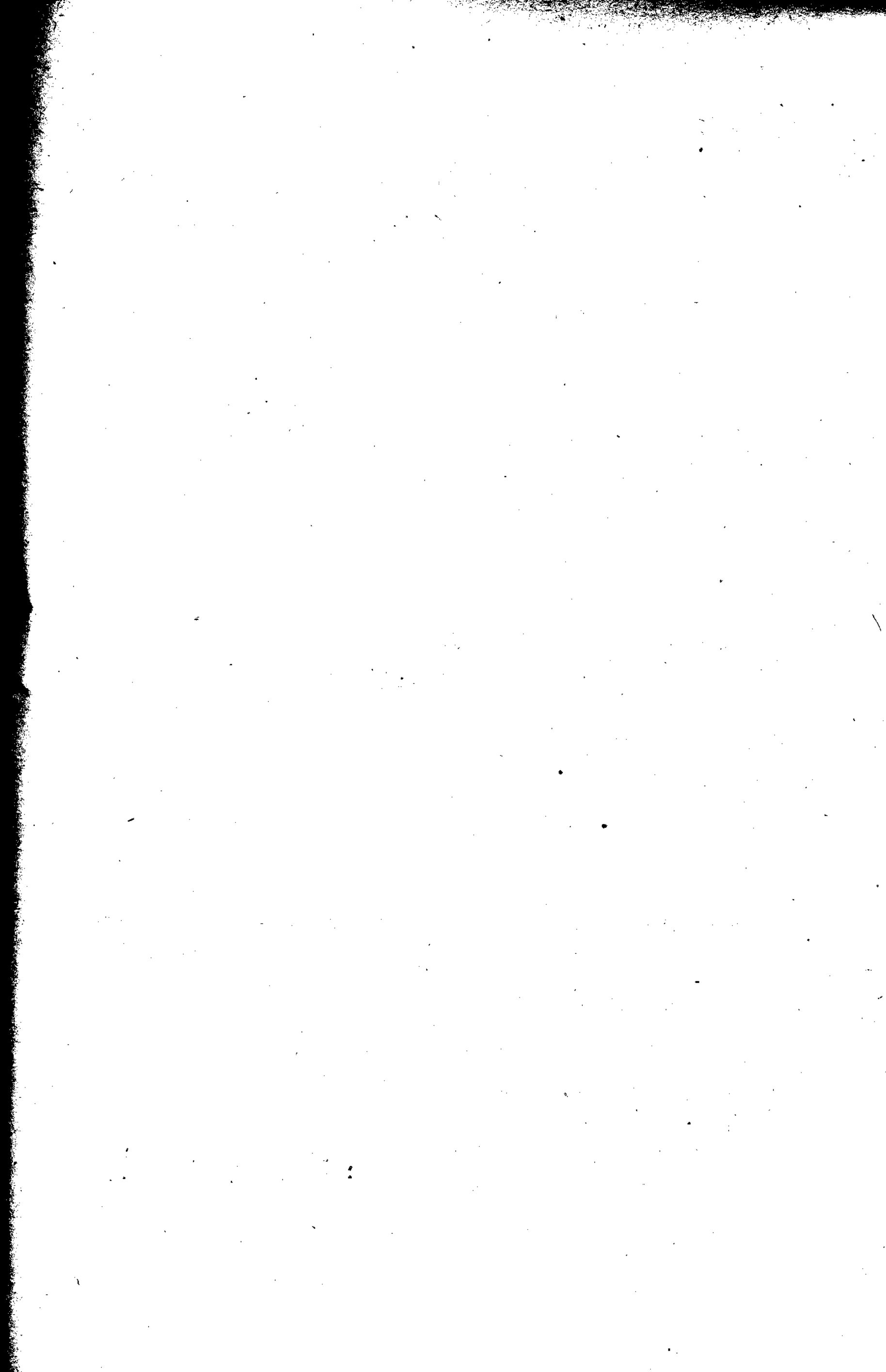
المسيح الاب الابن والروح القدس · وحارس مذبح الالــه ضابط الكل خالق السموات والارض · والامين علي أسرار الملكوت ·

أخذ الحديث مني كل مأخذ واستهوتنى الالفــاظ · واستولى علي لبى بريق المنصب · فتدخلت فى الحديث وأبديت رأيي مؤيدا رأى القريب وكنت لا أزال تحت سيطرة حب الرياسة · بعد قيادتى للجماعة الدينية بالمدرسة وكان قد مضى عليها سنتان ·

ومن تلك الليلة تعقدت نفسى من جميع فروع التعليم المدنى وتولد فى حب الدراسة اللاهوتية وما كانت تلك الميول وليدة الليلة فحسب ، ولكنها مخلفات عبارات النصر الزائف نتيجـــة مبارزة الذين يملكون أسلحة الاقناع ولا يحملونها · كما أن الرغبة في دراسة اللاهوت كان من عواملها ما كنت أشعر به من هيبة لرجال الكهنوت · وما كنت أراه على المسرح تمثيلا أو عن صدق من هيبة الكبار وذوى المراكز الاجتماعية لهؤلاء الكهنة ·

ألححت على والدى ووسطت والدتي وذلك القريب حتى قبل والدى بعد لأى على دراسة اللاهوت · ودفنت رأسى بين العقائــد والمذاهب أنهل استعدادا للتخرج والانضمام الى صفوف الكهنــة والرعاة ولكنها كانت نهاية وبداية ·

نهاية دراسة وبداية دراسة ، نهاية تلقين وبداية تفكير ، نهاية حياة كنت فيها مدفوعا برغبة مبنية علي التقليد والتعليم · وبداية حياة يلح العقل فيها أن أتعمق فى العلــوم بعين الحقيقــة لا عين الخيال · نهاية الغاء الخيال وبداية تشـغيل العقل · نهــاية الرين على القلب ، وبداية جعل القلب بوتقة للايمان غير المشوب بشوائب الايحاء ، نهاية ضلال وبداية هدى والحمد للـــه · والي السيد القارىء الصفحات التالية :



الفصل الرابع
صراع بين العقل والعقيدة

أثنـــاء دراستى للـدين المسيحى وتعمقى فى جنباته صادفتنى **مشاكل** عقلية متعدد كنت فى البداية **أطرحها** جانبا الى حين ثم أعاود الرجـوع اليها فيكون نصيبها التأجيـل، كالمرة الاولى ٠ وكل يوم تزداد المشاكل عن ذى قبل حتى كونت عنـدى ما يشبه العقـد وولدت عندى اليأس من فهم تلك المشاكل المعقدة ٠

بعـد الدرس كنت أخلو أحيـانا الى نفسى بمحاولة منى لايجاد الحـلول للمسائل المعقدة ٠ وكانت توجـد حلول ٠ ولكنها حلول لا ترضى العقل ولا يستريح لها الضمير الا مؤقتـا طمعا فى أنى يوما ما ربما **تكـون** قد اتسعت مداركى واستطعت حلها ٠

ولكن بعد سعنى الدراسة الثلاث فى اللاهوت لم أجد البياض الناصع الذى يعتبر أساسا للـــدين ، ولم أعثر على الوضـــوح والبساطة الذى يجب أن تنجلي بهما العقيدة انما كنت أجد بقعا عديدة من الاصباغ ظننتها باذىء ذى بدء زينة الدين ·

ولكنى كلما تعمقت واستعملت العاقل وذهبت بالفكر أى مذهب بين الكتب والمتون والشروح أعود الى النقطة التى بدأت منها دون الخروج بأى جواب شاف على أسئلة العقل المتلاحقة بغير هوادة وشككت في عقلي واتهمت ملكة فهمي بالضـعف وأيقنت أن ذلك قصور مني وربما وجدت المخرج عند أساتذتى الكهنة والقساوسة والوعاظ الاكليريكيين ·

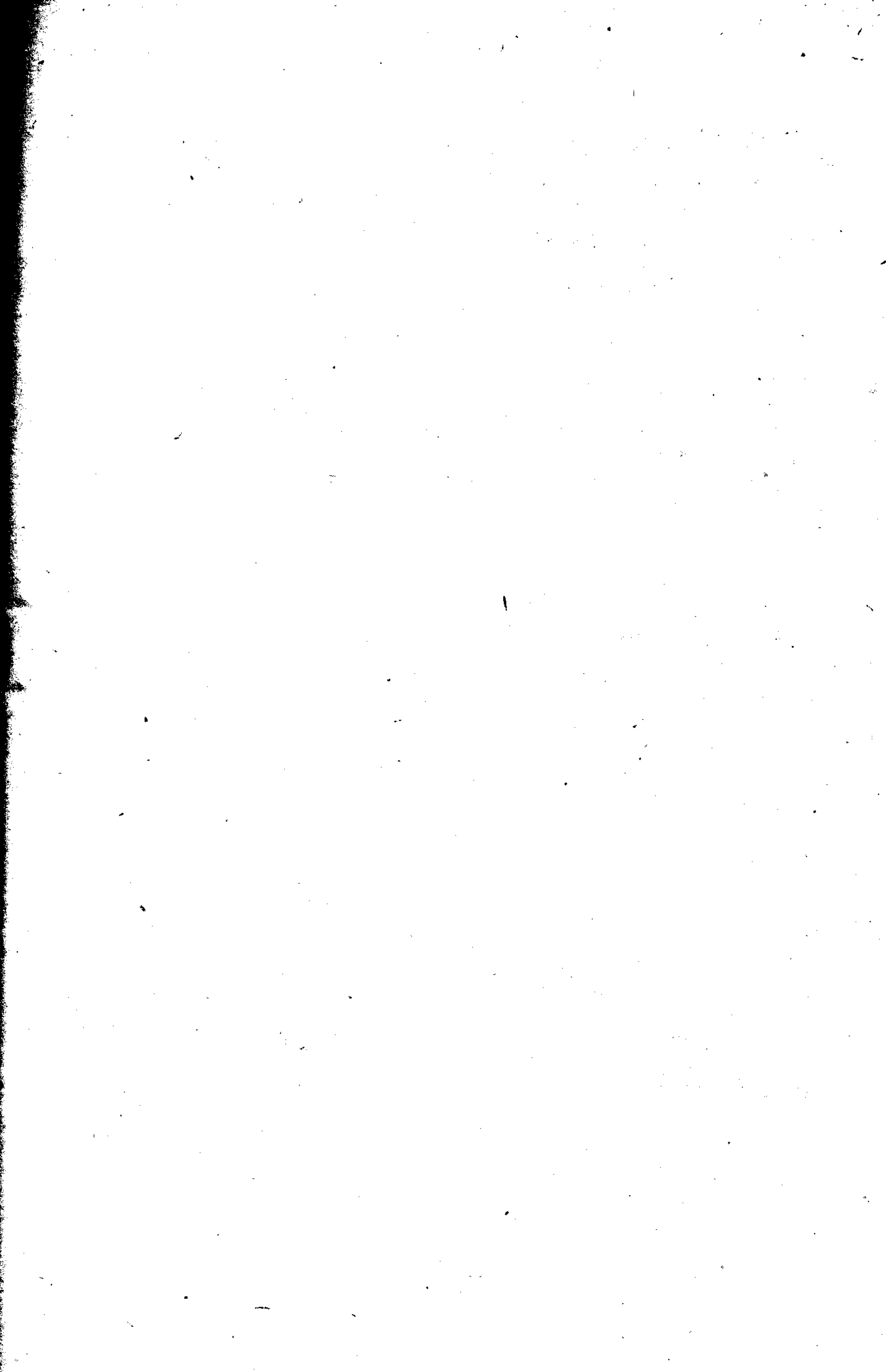
كان كل منهم يريد أن يظهر مقدرته ومدى مساهمته فى هذا الدين فحملـوا الـــدين ما لا يطيق من الاضافات والتفسيرات · ووصل الحال في بعضها الي أن أصبحت هذه الاضافاتوالتعليقات هى الاصل والدين ذاته فى المرتبة الثانية من حيث الاهمية ·

ويبدو أن أدعياء الدين أو محترفيه لم تعجبهم بساطته وارادوا له أن يكون معقدا لانه كلما كان معقدا اتجه الناس لهم يسالونهم تفسيرا لكل ما يحويه من ألغاز على أن تظل شوكتهم قوية ويبقي سلطانهم راسخا ، فمن جهـة المتدينين فرضوا لهم طقوسا ورسموا طرقا وابتدعوا احتفالات وصمموا ملابس وألفوا ترانيم وصلوات وتفننوا فى خزعبلات واستغلوا مجريات الامور لانفسهم فجعلـوا مصائر الناس في أيديهم ليظلوا المهيمنين عليهم والمرشدين لهم ·

أما من جهة خالقهم أرادوا أن يزيدوا في درجة احترامه سبحانه وتعالى فابتدعوا له مؤنسا فى وحدته زوجة ثم ابنا • ثم قالوا عن الابن أنه هو الاله ثم اختاروا فقسموا بين الاب والابن السلطات ورسموا لهما الاقانيم • مما سبق لم أجد جواب الاساتذة الا كجواب الكتب أو أشد تعقيدا ، وعسير على العقل المتحرر أن يقبل أجوبة على علتها كما قال بعضهم قولته المشهورة • أد الطقوس التى تعلمتها كما تعلمتها ولا تتعب عقلك • فقد تعب قبلك كثيرون وباءوا بالخسران المبين وطردوا من ملكوت السموات

من هنا بدأ شكى وفقدت الثقة واستولى على عدم الايمان فيما أدرس لا فيما أدين ، لان دين المسيحية دين سماوى أتى به المسيح وبشر به من سبقه من الانبياء واعترف به من بعده •

ولذا بدأت أبحث وأنقب مصمما علي أن لا ألغى عقلى لانه عسير على العقل الواعي أن يأخذ الامور علي علاتها كما أنه من العسير على انسان وهب شيئا من حرية الفكر أن يصم أذنيه عن النداء المنبعث من وحى العقل والضمير • واثقا أنى لن أطرد من ملكوت الله • بل هدفي أن أدخل الملكوت • ومن سار علي الدرب وصل ، ومن جد وجد ، لأنه من العبث ألا يبحث أى انسان أمر دنيه حتي يؤمن ايمانا صحيحا أو يترك ما لم يستطع عقله وعقول أساتذته الى ما يفهمه العامة قبل الخاصة حتى يستريح الضمير • ويكون ذلك دين القيمة • والى القارىء أقدم بحثى الذى انتهي بي الي الايمان بدين القيمة •



الفصل الخامس

المسيحية وأطوار انحدارها

المسيحية جاء بها السيد المسيح تدعو الى الزهد فى الدنيا والتطلع الى الآخرة وتفضيل ملكوت السموات على ملك الارض • وكانت هذه هى الرسالة الحتمية الى بنى اسرائيل الذين أخلدوا الى الارض ودعوا الى ايثار الملك الارضى على ملكوت السموات • وعبدوا المادة من دون الله عز وجل وتفننوا فى الخروج على الشريعة التى جاء بها موسى عليه السلام ، فأحلوا الحرام وحرموا الحلال •

اذن كان لابد من رسالة تدعو الروح الى اليقظة من سباتها ودين يخاطب اللطيفة الربانية حتى يستيقظ

الضمير • ودعوة تناجى الوجدان فتتسلل الى النفوس التى مرضت لمحو ماران عليها من ضلال وما ألم بها من زيف وما علاها من صدأ وغشاوة •

ولذا تجد أن تعاليم المسيحية خلت من الدعوة الى المادة الا فى حالات نادرة أوحت بها الضرورة فقد كان كل توجيهها الى المعنويات كالتأمل والتدبر باعتبارهما المخرج من رذائل الانسان الي الفضائل التي تسمو به الى عالم الملك والملكوت • حتى يصل الي الكمال الابدى بالاتجاه الى الله عز وجل حيث ترتاح الروح باشراقة النور الربانى الذى يعتبر هو الاصل لها فيحوطها الاستقرار وينقشع عنها الخوف من المستقبل ويعلو عندها الرجاء فتشعر بالسعادة والطمأنينة بركونها الى الجانب الالهى ويكون ايمانها بأن المستقبل وما حدث فى الماضى كله بأمر الله وما سبق به العلم كان • وما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن ومن هنا تكون الراحة اللانهائية •

وظل السيد المسيح عليه السلام يدعو بهذه المبادىء حتى انتقل الى ربه وظهرت علي سطح الدعوة بعض النزعات التى كانت مختفية تحت المطامع الشخصية وذلك راجع الى أن بعض الذين آمنوا بالسيد المسيح من الحواريين كانوا يبغون من وراء هذا الايمان كسبا دنيويا وذلك ظاهر فى قصة يهوذا الاسخريوطى الذى خدعه المال والحياة ، وتحت تأثير الاغراء تطوع أن يسلم السيد المسيح لليهود لكي يصلبوه • وبطرس الذى تقول عنه الاناجيل أنه أنكر المسيح ثلاث مرات • وبولس الذى خالف القاعدة

القائلة أن السيد المسيح جاء لبنى اسرائيل فقط فدعا سائر الناس الي الايمان به بنفس الحقوق والمميزات التى أعطيت لليهود •

وفى غمرة تغلب حب الظهور الشخصى ظهرت في الافق آراء ومعتقدات وتأويلات وتفسيرات لا حصر لها ، بل بدأ انحدار الكنيسة وخروجها على رسالة السيد المسيح نفسه وظهرت الاحزاب والشيع والطوائف ولكل من هؤلاء رأى ، ولكن الآراء كلها تبلورت في اختلاف هذه الطوائف على شخصية المسيح على أساس : ـ هل المسيح طبيعة واحدة بمشيئتين ؟ أو طبيعة واحدة بمشيئة واحدة ؟ أو طبيعتان ومشيئتان ؟ وذلك فى علاقة المسيح بالاله • ومن أبرز ما يمكن ألا نغفله هنا أن جميع الطوائف اتفقت علي كون المسيح آت لاجل خلاص العالم من خطيئة ادم ولكنهم اختلفوا فى كيفية الخلاص • ولكن الرأى السائد أن السيد المسيح فدى العالم بنفسه ليخلصه من الخطيئة ، كما اتفقوا على التثليث وهو شعار المسيحية باسم الآب والابن والروح القدس • علما أن الخلاف احتدم فى مسألة اللاهوت والناسوت اختلافا أدى الى تطور النزاع تطورا كانت له خطورته علي الامم المسيحية بأكملها •

وتتلخص أسباب الخلاف فيما يأتي : ـ

أن أريوس ينكر لاهوت المسيح ويقول أنه مخلوق ليس مولودا من الآب ، ولذلك لا يساويه في الجوهر •

ويقول نسطور أن للابن أقنومين • النور المنبثق : واحد الهى

والآخـر بشرى فهو بالاول ابن الله وبالثانى ابن مريم وى ابن الانسان ٠

ويقول اليعقوبيون أن المسيح أقنوم واحـد وطبيعة واحـدة وكلاهما الهى ٠

ومن هنا انقسمت الكنيسة المسيحية في الشرق والغـرب الى ثلاث طوائف كبرى :

١ ــ الارثوذكسية ٠

٢ ــ الكاثوليكية ٠

٣ ــ البروتوستانتية ٠

فالارثوذكس يأخذون بالرأى اليعقوبي ويرفضون فكرة انبثاق روح القدس من الابن كما انبثق من الآب ٠

والكاثوليك ميالون الى رأى نسطور أى بالقــول بالطبيعتين والمشيئتين ويضيفون الى ذلك أن المسيح قد صار انسانا كاملا فى أحشاء أمه ألبتول ٠

والبروتستانت جاءوا بالاصلاح الاخير على يد (مارتن لوثر) الذى يرى من مذهبه أنه ميال للرأى الاريوسى الذى يقـول : ان الجوهرين لا يتساويان ٠

وان إختلفت هذه الطوائف فى شخصية المسيح الا أنهم اتحدوا في التثليث وذلك ما سنفرد له بابا خاصا به ٠

٢ ــ المعمودية وسنتعرض لها عند الحديث عن الصلب ٠

٣ ـ الاناجيل وذلك ما سنسرد عجالة قصيرة عنها •

٤ ـ التناول وسنتحدث عنه عند الحديث عن الصلب •

وكتب الديانة المسيحية الاساسية هى :

١ ـ الاناجيل الاربعة : متي ـ مرقص ـ لوقا ـ يوحنا :

٢ ـ أعمال الرسل :

٣ ـ الرسائل :

٤ ـ رؤيا يوحنا اللاهوتى ،

الاناجيل : ولا تخرج مادة الاناجيل الاربعة عن أن تكون تاريخا لحياة المسيح ، وترتيب الأناجيل الأربعة حسب تاريخ كتابتها هكذا : مرقص ـ متى ـ لوقا ـ وأخيرا يوحنا ومجموعها مع غيرها من الرسائل يسمى العهد الجديد •

انجيل مرقص : كتب بعد سبعين سنة من انتقال المسيح وجمعت أصوله من الرواة الذين اتصلوا بالمسيح أو عن الذين اتصلوا بهؤلاء الرواة والمعاصرين • ولم يكن مرقص قد ولد في زمن المسيح • ولا يعدو ماورد في أنجيل مرقص تجولات المسيح وتاريخ آخر أيامه •

وانجيل متى : كتب فى أواخر القرن الاول ويحوى أقوال المسيح منسقة كما يحوى شجرة النسب للمسيح علاوة على أنه يحوى ما حواه انجيل مرقص وبعض ما يحويه العهد القديم (التوراة) •

انجيل لوقا وقد كتب فى أوائل القرن الثاني جدد في مادته

وأتى ببعض أشياء لم تأت بها الاناجيل السابقة · وقد اعتمد كاتبه على بعض ما ورد فى انجيل مرقص ·

انجيل يوحنا : كتب جزء منه فى أوائل القرن الثانى ولكنه لم يتم الا فى فترات متأخرة ومادته مستحدثة ·

أعمال الرسل : هى شذرات تحتوى على مجهود الرسل ·

الرسائل : وهى عبارة عن منشورات وعظات أدلى بها تلاميذ المسيح فى مختلف الأمم ومختلف الازمان داعين للمسيحية ، وتعد هذه الرسائل أساس علم اللاهوت ·

رؤيا يوحنا اللاهوتى ، أو « **يوحنا المعمدان** » : وهى عبارة عن عظات وتنبؤات ·

ومن الامانة أننا نثبت هنا أنه لم يوجد انجيل من الاناجيل المتداولة منسوبا الى المسيح نفسه أو منزلا على المسيح · انما كما يرى القارىء أن كل انجيل من هذه الاناجيل المتداولة منسوب الى كاتبه وأن هؤلاء الكتاب كلهم لم يكونوا قد اخرجوا الى الحياة فى زمن السيد المسيح ·

وأن المدقق يرى أن هذه الكتب كتبت على ألسنة الرواة كتاريخ للحوادث أو تسجيل للكلمات التى حدثت فى زمن السيد المسيح · وقد خلت تلك الكتب ـ تماما ـ من أى شىء يشير أن لها مصادر أو مراجع معتمدة وحتى فى عصرنا هذا نجد اختلافا كبيرا بين طبعات ما يسمي بالكتاب المقدس كطبعة بيروت نجدها تختلف عن طبعة لندن والثانية تزيد أو تنقص عن طبعة أمريكا

(نيويورك) اذن ، لايمكن لأى عاقل أن يأخذ ما ورد فى تلك الكتب على أنه من عند الله · لان ما كان من عند الله لا نجد فيه اختلافا ، واذا رجعنا الى أسباب الاختلاف نجدها متعددة بحيث تحتاج الى كتاب منفرد ربما هيأت لى الظروف بارادة الله اخراجه ·

ولكن يمكن اجمالها هنا فى أن اللغات التي كتب بها الانجيل كاللغة الفرتية والكبتوكية والعبرية القديمة وغيرها من اللغات العديدة التى تعد بالعشرين لغة هي سبب من الاسباب التى أضاعت معالم الانجيل الحقيقى ·

وهناك سبب آخر هو أن المسيحية بدأت كفرقة مضطهدة من الملوك والأباطرة الذين جمعوا الانجيل المنزل وحرقوه · ولا يفوتنا هنا أيضا أن نذكر أن التوراة وهى ألواح موسى ضاعت مع التابوت الذى أخذه الفلسطينيون من اليهود فى حروبهم · وعند ما عاد التابوت الى اليهود على يد طالوت (شاول) كان خاليا منها ·

وخلاصة القول أن الذى بين أيدينا لا يمكن أن نعتمده · وكل دراسة مبنية عليه تعتبر دراسة ناقصة تماما ، الا أننا بصدد دراسة قضايا وردت فى الاناجيل نفسها كان لابد أن نأخذ فى الاعتبار أن هذه الاناجيل أوردت بعض ما يمكن الاعتماد عليه · لأن ذلك البعض يشير الى صحة دعوانا فى بطلان العقائد التى درسناها يوم أن كنا نتلقى دراسات فى اللاهوت والناسوت وأن

هذه الاناجيل مع تحريفها وتغييرها واختلاف طبعاتها كانت عاملا من العوامل المهمة التى أنارت الطريق أمامنا عند مناقشة القضايا التى احتواها الكتاب · فقد ألقت ضوءا على بطلان القول بألوهية المسيح وبنوته لله وقصة التثليث · كما أقامت الحجة القوية على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وذلك ما سنورده فى هذا الكتاب ·

الفصل السادس

التثليث ونشأته وتحليله

لو رجعنا الى ما قبل المسيح بآلاف السنين وتتبعنا الاديان القديمة كديانات البراهمة فى الهند وديانات القدماء المصريين · والديانة الكنفشيوسية فى الصين لوجدنا أن تلك الاديان بدأت بتوحيد الله عز وجل ثم انحدرت الى تثليث الاله · حتى أن بعض تلك الاديان تغالت الى أن أوصلت الاله الواحد الى تسعة آلهة ·

ولأننا لسنا بصدد مناقشة هذه الاديان فاننا لا نتعرض لها الا بالقدر الذى يفى بالغرض المنشود ·

وبالتحديد سنتعرض للثالوث

الهندى والثالوث والتاسوع فى الديانة المصرية القديمة والثالوث الكنفشيوسى فى الصين ٠

فبالرجوع الى الديانات الهندية نجـــد أن الديانة البراهمية وأهم كتبها المقدسة وهى (الفيـدا) التى تتألف أسفارهـــا من (الريجافيدا ، والسامافيدا ، والباجروافيدا ، والآثارافيدا) نجـد أن الهنود آمنوا بالاله الواحـد (براهمـــا) ومعناه فى اللغة (السنسكريتية) الهندية (الله) وهو الاله المتصرف لا شريك له ٠ صدرت الاشياء جميعا عن وجوده وسرى منه الـروح فى جميع الكائنات ٠

ويؤيد ذلك ما ورد فى أسفار الفيدا ما معناه (اننى أنا الله نور الشمس ، ضـوء القمر ، بريق اللهب وميض البرق ، صـوت الريح أنا العرف الطيب : ينبعث فى الارجـــاء والاصل الازلى لجميع الكائنات وأنا حياة كل موجود ، واننى صلاح الصالح ٠ لانى الاول والآخر والحيـــاة والموت لكل كائن) ثم كانت هناك الخرافة القائـــلة أن « براهمـــا حل فى كبـــار الكهنة وأولهم « البراهتما » ثم من بعده انتقل الى تلاميـذه « البراهتمـــا »واحدا تلو الآخر ٠ بحيث من ينتقل روح براهما اليه يصبح من المتنبئين الذين يصدقون فى كل قول صادر عنهم ٠ مما حدا ببعضهم الى التغالى فى الاختراع حتى أن بعضهم خرج عنهم فكرة التعـدد حتى أصبح التعدد عقيدة شعارها التثليث ٠

فان بعض الكهنة أعطى (براهما) صفات مستقلة وأسـماء متعددة وتطور التعدد الى أسماء ثلاثة كل اســم منها مستقل ٠

وكل اسم أطلق على اله ، له صفاته وذاته وعمله ، ومن هنا نشـأ

الثالوث الهندى (براهما ـ سيفا ـ فشنو) مكونا من ثلاث أقانيم كل أقنوم له وظيفته وملكوته :

ف (براهما) الذات الطاهرة التى لا حد لها ولا شكل • الذى توجه اليه الصلاة وهو الذى يقبل الدعاء حيث لا توجه الصلاة الا اليه •

(و) ـ (سيفا) الذى أشير اليه فى كتب تفسير (الفيدا) باسم (وورترا) أى القوة المستورة أو الاله الموكل بالرياح الثائرة الهوجاء •

(و) ـ (فيشنو أو فيشا) وهو المكلف بالحياة وسريانها فى جميع الكائنات وهو المحى والمميت • ويعتبر كهنة الديانة البراهمية أول من أنشأوا التثليث وابتدعوه • ولكن من حق التاريخ علينا أن نثبت أن (جوتاما) الشاب المتبتل الذى سمى فيما بعد (بوذا) حارب هذا التثليث كما حارب التعدد وشن عليه حربا شعواء على نظام الطبقات فى الهند الذى يعتبر أكبر سند للتثليث والتعدد •

وكذلك الديانة المصرية عندما بدأت بالتوحيد والايمان باله واحد فردى أزلى • خالق قبل كل شىء ويبقى بعد كل شىء لا بداية له ولا نهاية وظل هذا الاله احساسا داخليا وروحا معنويا فى الضمير البشرى بلا اسم يعرف به حتى اتجهوا الى تسميته (آتوم) ثم قالوا أن الآتوم هذا اسمان أحدهما ظاهر والآخر خفى • وقالوا ان الاسم الظاهر تكونت به السموات والارض • والباطن قام به الوجود وهو أصل كل شىء •

فاذا اتجه آتوم الى العطاء (رع) واذا ظهر بارزا فى ظهور الشمس سمى آمون • ومن هنا ظهر الثالوث المصرى (آتون ـ آمون ـ رع) ثم تفرع عن الثالوث آلهة أخرى حتى أصبح

التاسوع (آتون ـ آمون ـ رع ـ تيت ـ نوت ـ شو ـ ازيس ـ سيت) ثم جاءت فى التاريخ أخبار آلهة فرعية أخرى أمثال (هاتور ـ نوباشيت ـ نوت ـ معت ـ بتاح ـ تبقون) •

واذا رجعنا الى كتب الديانات الصينية القديمة نجد أن الصينيين عبدوا أول ما عبدوا الها واحدا هو مولى السماء الرب العظيم مالك الاكوان • ذو العقل المتناهى الذى تجده أينما توجهت • يجود بلطفه ورعايته على الصالحين ويستعمل الرحمة مع عباده واسمه عندهم (تى ين) أى الاله المعلوم من صفاته المجهول ذاته الغير منظور • ثم حل هذا الاله فى أرواح الآباء والحكماء والملوك والقادة • فتطور الاله الى آلهة ثلاثة كل له قدرته ووظيفته ونشأ الثالوث الصينى بأقانيمه (تى ين ـ تشانج ـ تشانج تى ين)

(ف) ـ (تى ين الاله المجهول المنظور ، الغير المنظور ، (وتشانج) ، (هو الروح التى حلت فى أرواح الآباء والاجداد والملوك فصيرتهم مقدسين ، وببركتهم كانت كل الاشياء التى خلقت لهم وسرت تلك الروح الى جميع المخلوقات ، من انس وجن وحيوان وطير وهوام •

(و) (وتشانج تى ين هو اله الشمس وسياراتها والقمر ونوره والارض ودورانها والسماء ومطرها الخ •

وظلت الأديان بعد ذلك تتخبط على يد كهنتها ، حتى جاءت الديانة اليهودية ، فجاء اسم الاله الواحد (آهيا أو الوهيم أو يهوه) فى التوراة • ولكن كما قلنا من قبل أن بنى اسرائيل خرجوا عن جادة الدين وعبدوا المادة ثم جاءت المسيحية لتصلح

(١،٢،٣) ارجع الى كتاب « الاديان فى كفة الميزان » للمؤلف •

ما أفسده بنو اسرائيل وتدعو الى الله عز وجل ولكن بعد انتقال المسيح الى ربه تجدد الثالوث والتعدد وان كان بصور اختلفت عن صور الثالوث الهندى ، والمصرى ، والصينى ، وذلك ما نعرضه على السيد القارىء ٠

فقد جاء أنه عند قيام الطوائف المسيحية بتنسيق المعتقدات وانشاء نظم دينية أنهم قرروا فى مجامعهم المعقودة آخرها سنة ٤٦١ م تمسك الجميع بالتثليث كشعار ثابت لجميع الطوائف والاجماع بأن المسيح إله مثلث الاقانيم « الآب والابن والروح القدس إله واحد » ٠

ولو أردنا مناقشة موضوع التثليث المسيحى وتحليل الثالوث لوجدنا أنفسنا أمام مسائل منطقية ثلاث عبارة عن معادلات فلسفية ثلاث ، كما نجد أنفسنا مضطرين للتمسك بها لأننا نريد أن نكون فى حيدة تامة ٠٠ الحيدة التى تفرض علينا عدم الاستشهاد بأى كتاب سماوى حتى لا يشتم أننا انحزنا الى أى من الأديان الثلاثة دون اللجوء الى المنطق أولا ، وهو جزء من الفطرة السليمة التى فطر الله عليها البشر ٠

والمعادلات الثلاث هى :

المعادلة الأولى :

ما دام الثلاثة أقانيم فى الحقيقة واحد ، فان ما يصيب الاب من آلام ومسرات فلا بد أن يصيب الابن والروح القدس ، لانهما يكملان الثالوث الموحد ٠

المعادلة الثانية :

ان مايؤذى الابن أو يضره ، يضر الاب والروح القدس ما دام الابن ثانى ثلاثة هم فى الحقيقة واحد ٠

المعادلة الثالثة :

كذلك الروح القدس كجزء فى كل ، اذا اشتكى تداعى له الاقنومان بالحمى والسهر ٠

وأمام هذه المعادلات لا يمكن التسليم بالتفسير الوارد فى العقائد الكنسية فى أن « الاب والابن والروح القدس هم الإله السماوى رب السموات والاراضين ضابط الكل قد تجسد وتأنس فى بطن مريم البتول » ٠

لاننا لو سلمنا بهذا التفسير لوقعنا مع العقل فى صراع عنيف ولن ننتصر على العقل أبدا ، لانه لايمكن لإله بدون الكمال المطلق أن يكون إلها ٠

فاذا ما تجسد الإله بأقانيمه الثلاثة فى بطن مريم العذراء يكون قد تجرد من كماله المطلق ، لانه ما دام قد سمح لنفسه أن يسلك مسلك البشر : تحمل به أمه وتلده ، اذن لابد أن تجرى عليه سنة الحياة والموت والانتفاضة والانكماش ، مما يؤثر على أقانيمه الثلاثة ٠

والله جل جلاله منزه عن الوالدية والمولودية ، التركيب والتجسيم والاحتياج ، وسابقية العدم ولاحقية الفناء ، وسائر صفات الحوادث ، وكل مالا يليق بذاته العلية ٠

اذن فعقيدة التثليث عقيدة وثنية ، فالبراهمية وقدماء الصين وقدماء المصريين والفرس واليونانيون قالوا من قبل أن الإله مثلث الاقانيم ، وقد اقتبست الكنيسة بعد دخول نصرانية قسطنطين فيهم هذه الشعائر ونسخت بهم شريعة المسيح ٠

والمقام هنا يضيق أن نبسط جميع أوجه الخلاف وأسانيده

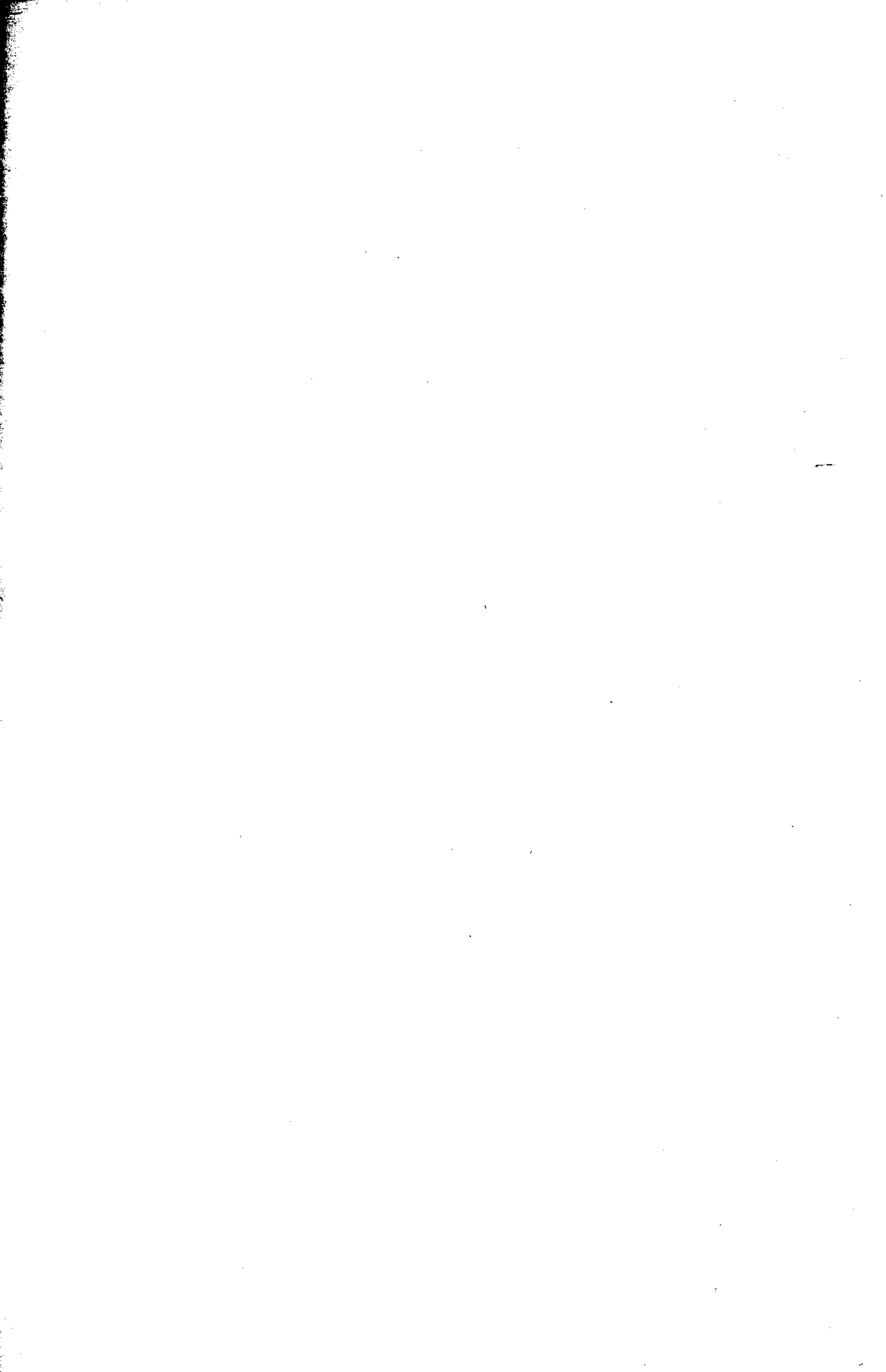
المختلفة ولكننا نستطيع أن نلخص رأى العقلاء وهم قلة فى تفسير الاقانيم ·

وهو « أن الاقانيم جوهر واحد ، وأن الكلمة والاب جزء واحد وأنك حين تقول الاب لا تدل على ذات منفصلة عن الابن أو عن الروح القدس لانه لا انفصال ولا تركيب فى الذات الالهية ولكنها تتجلى فى معرض الانعام وبالبنوة فى معرض التلقى والقبول » ·

وختام القول أنه من العبث الاخذ بمنطق التثليث الغالب على رجال الكنيسة ، بأن المسيح هو الله المثلث الاقانيم ، أو الاقانيم الثلاثة هى الله المسيح ، أو المسيح هو الاب والابن والروح القدس ·

وايفاء للموضوع حقه وجب علينا مناقشة الاقانيم الثلاثة أقنوما بعد الآخر حتى يتضح لنا الامر من القضايا الثلاث وهى :

١ ـ تأليه المسيح · ٢ ـ بنوة المسيح لله · ٣ ـ الروح القدس ·



الفصل السابع

قضية "ألوهية المسيح"

تعرضنا فى الأبواب السابقة للكتب والرسـائل التى تعتبر الركائز الاساسية التى تعتمد عليها القيادات المسيحية بفروعها وعقائدها المختلفة فى بث العقيدة وتوجيه الدعـوة ، كما تعرضـنا الى قيمة تلك الكتب من الناحيتين الروحية والتاريخية ، وذلك بعد بيان ما احتواه كل كتاب وما تضمنته كل رسالة بالقدر الذى يقتضيه حال الايجاد . كما أوجزنا فى الاشارة الى ما حدث للانجيل المنزل على السـيد المسيح عليه السلام حيث جمع وأحرقت أصوله على يد بعض الملـوك والاباطـرة الذين حاربوا المسيحية فى العصر الرومانى .

وقد أشرنا الى اختلاف الطوائف فى شخصية المسيح ومدى اتصالها بالاله وأوضحنا أن تلك الطوائف مع اختلافها ، اتحدت فى عقيدة صلب المسيح ومجيئه الى العالم لفداء البشر بنفسه وتخليصهم من الخطيئة الموروثة عن آدم وذلك ما سنتعرض له فى الابواب التالية .

ولذا وجب على الكاتب أن يتعرض لكل عقيدة من تلك العقائد على أنها من بواعث الشك فيما يدين به حتى يمكنه أن يقول أن هذا الكتاب يكشف فعلا عن سر ايمانه بما أصبح يدين به .

وربما سأل سائل لماذا سمينا العقائد التى سنتعرض لها فى هذا الكتاب قضايا ؟ أجبناه أنها فى الحقيقة قضايا تحتاج الى الاثبات أو النفى وأننا تعمدنا مسايرة الحقيقة حينما سميناها قضايا تحتاج الى المناقشة التى تعتمد على النقل الموضوع على مشرحة البحث والتفصيل تحت مبضع العقل الذى يلجأ الى الادلة المنطقية التى توافق العام والخاص حتى يخرج النفى أو الاثبات حقيقة وافقت المنقول الصحيح والمعقول والمجمع عليه .

وقد كان من أظهر الاسباب التى أدت الى وجود العقيدة القائلة بألوهية المسيح وغيرها معجزة ميلاد المسيح فقد أذهلت اليهود الذين آمنوا به ، فبدل أن تكون هذه المعجزة توجيها حسيا الى قدرة الله عز وجل ، ودليلا على عظمة الخالق وقدرته ، كانت وبالا عليهم بأن زين لهم الهوى ايجاد تفسيرات وتأويلات فى بحرها نسوا الله فأنساهم أنفسهم ، فآلت عقائدهم الى ما آلت اليه .

فمن أدلة الاصباغ الجديدة التى طمست معالم الوضوح للرسالة التى جاء بها المسيح عليه السلام أنهم توجهوا فى

صلواتهم الى السـيدة العذراء مريم بقولهم : نعظـمك ياأم النور الحقيقى ، ونمجدك أيتها القديسة والدة الاله مخلص الكل مولود غير مخلوق ضابط الكل (١)

ان مجرد النظرة العابرة الى ألفاظ الشطر الاخير من الفقرة المتقدمة تأخذنا الى مجـالات واسـعة من التساؤل ٠ ٠ ٠ والدة الاله ؟ مولود غير مخلوق ؟ ضابط الكل ٠

فاذا أردنا أجوبة للتساؤل فلا نجد الا الاجوبة التى استقيناها من مجموعة المجلدات التى بين أيدينا والتى يمكن أن نلخصها فى أن المسيح اله لانه اشراقة من النور الالهى ، أو قبس من الاله له ما للاله من قدرات وامكانيات لانه مولود غير مخلوق ، مولود فى الصورة ولكنه قديم بقدم الله ٠ ولهذا يقال أنه مولود غير مخلوق، وبذلك كان ضابطا للكل بلاهوته لا بناسوته ٠

ان هذه الاجوبة وغيرها لا يمكن أن تكون شافية ، لان معجزة خلق عيسى المسيح لا تحتاج الى هذه التفسـيرات والتأويلات لأنها بجانب المعجزات الالاهية التى سبقتها تعتبر بسيطة غير معقـدة بالنسبة لمعجزة خلق آدم مثلا ٠

فآدم خلق من غير أب ولا أم من قبضة من تراب سرى فيها السر الالهى السارى فى جميع المخلوقات وبقدرة الاله الذى قال

---

(١) هـذه الصـلاة واردة فى كتاب : « الأجبيـة للصـلوات والدعوات » و « الخولاجى الغرغارى » عنـد الأرثوودكس ويؤمن بها الكاثوليك ويرددونها فى ألحانهم ٠

« كن » فكان آدم تنفيـــذا للكــــلمة من طبيعتين اللطيفة الربانية والطبيعة الارضية ٠

فاذا عبرنا عن القدرة الالهية وهى اللطيفة الربانية بالاشراقة الالهيـــة فانما نقول أن آدم قبس من النـــور الالهى أى أن آدم خلق بلاهوت وناسوت ولكننا لا نقول أن آدم ضابط للكل وأنه قديم بقدم الله عز وجل ٠

وهذا قول يرتاح اليه العقل لانه لا يمكن أن نتصور ولادة الاله كما لا يمكن تصوير المولود فى صورة غير صورة المخلوق لان كل مخلوق لابد أن يكون وليد شيء ، وكل شيء مخلوق خلقه الله بقدرته

تلك هى الادلة المنطقية التى تنفى الوهية المسيح وأن تأليهه افتراء عليه ، ولكى نوفى الموضوع حقه وندعم المنطق بالنقل كان من حق القارىء علينا أن نوضح أن الاناجيل التى سنتخذ بعض ما ورد فيها دليلا على تبرئة المســـيح مما نسب اليه قد حرفت تحريفا فى بعض الاحيان بلا قصد ثم أصبحت عن قصد لان الذين انحدروا بالمسيحية استغلوا غير المقصـــود لكى يصلوا به الى المقصود ، وذلك أن الذى ساعد على انحدار المسيحية كثرة اللغات التى كتبت بها الاناجيل وبشر بها تلاميذ المسيح مثــل اللغـــات « الفرتية » والماديــة ، والعيـــلامية ، والآرامية والسامـــرية ، والكبدوكية ، والعبرانية ، والقبطية ، والعربية ، ولغات أخرى وقد نقلت بعض هذه الكلمات بنفس نطقها فى بعض اللغات مما ساعد المستغلين على تغيير بعض الشكل أو النطق للتدليل على صـــدق دعواهم التى يدعون الناس اليها ٠

ومن هذه الكلمات كلمتان كان لهما تأثيرهما القوى فى اظهار ألوهية المسيح وبنوته لله٠ وهاتان الـكلمتان هما « آب » ، « ربى » فقد استغلت الكلمة الاولى وهى عبرية معناها (الله) فلما نقلت بنطقها الى العربية أصبح معناها (آب) ٠

والثانية قد استغل نطقها الآرامى (ربى) بكسر الراء ومعناها (معلم) فأصبحت معناها (ربى) بفتح الراء أى « الاهى » ٠

وكما اختاروا الكلمتين وجعلوهمـــا بمعنى الربوبية اختاروا عدة مصطلحات وأقانيم ورموز أخفوا تحتها الحقائق ٠

ولكنا لا نعدم دليلا من الانجيل يوضح لنا معنى الكلمات باللغة العربية ، فقد ورد فى انجيل يوحنا الاصحاح الاول الآيتان ٣٨،٣٧ ما نصه :

« فسمعه التلميذان يتكلم فتبعا يسوع ، فالتفت يسوع ونظرهما يتبعان فقال ماذا تطلبـــان ؟ فقالا **ربى الـذى تفسيره** يا معلم أين تمكث ٠

ومن هنا نتبين أن بعض الكلمات كانت عاملا من العوامـــل المهمة التى توضح استغلال بعض أصحاب الهوى لها حتى يصلوا الى ما تهدف اليه نفوسهم المريضة ٠

ومن صميم دعوة السيد المسيح نجد أنه أمر تلاميذه وأتباعه أن يتجهوا الى السماء ورب السماء والارض الذى لا يعزب عنه مثقال ذرة فيهما والدعاء اليه وحده والصلاة اليه وذلك فى انجيل متى الاصحاح السادس الآيات من ٩ الى ١٣ يقول المسيح لتلاميذه

هكذا تصلوا « أبانا الذى فى السموات ليتقدس اسمك ، لتكن مشيئتك كما فى السماء كذلك على الأرض ٠٠٠٠ »

اذن ما الذى يدعونا أن نجعل المسيح الها فى الوقت الذى يشير الى وحدانية الله وهو بين تلاميذه يصلى بهم ومعهم الى « الأب أى الله المسيطرة سيطرة تامة له ما فى السموات وما فى الارض ٠ كما يأمرهم أن يتجهوا فى باقى الآيات الى الرزاق الغفور ذى القوة المتين وهو يقصد بكلمة « أبانا » « الاهنا » ، لان كلمة « آب **معناها الله »** ٠

ولم نجد فى تعاليم المسيح أو فى الوسائل التى اتخذها لدعوته أكثر من الوسائل التى اتخذها الانبياء من قبله أو من بعده ، فقد كان المسيح شريد الاوطان كما كان الانبياء من قبله يهاجرون من بلادهم ويطردون من ديارهم ٠

ولذلك تجده يصف نفسه بأنه نبى وأنه فى سبيل دعوته لابد من ايذائه وتشريده بحيث لا يجد مكانا يسند فيه رأسه ، بل تعدى ذلك أن قالها فى صراحة أنه « ابن انسان » وذلك واضح فى انجيل متى الاصحاح الثامن من الآية ٢٠ « **للثعالب أو جره ولطيور السماء أوكار ٠ وأما ابن الانسان فليس له أين يسند رأسه** » ٠

والمسيح لا يستنكف أن يكون عبدا لله ، ويشرفه هنا أنه مرسل من عند الله كباقى الرسل الذين أرسلهم الله الى البشرية هداية للناس وأنه جاء ليخرج قومه من الضلال بعد أن حادوا عن رسالة

موسى عليه السلام كما جاء فى انجيل متى الأصحاح الثامن عشر الآية الحادية عشرة « **لآن ابن الانسـان قد جاء لكى يخلص ما قد هلك** » .

حقا ما أضعف الفرد منا لكى يضـع **هو** وحـده النظرية النهائية ، أو يفترض التفسير الحاسم لحـل مشـكلة أزمنت أو ظـاهرة تعقدت ، ولكن على الفرد أن يبحث عن الحقـائق من الكلام الذى قاله من قامت حـوله المعركة حتى ان قومه اعتبروه شخصية خيالية ، ولم يعرفوا انه شخص حقيقى على درجـة عظيمة من الانسانية حيث يعترف أن له ربا أرسله لتبليغ دعوته الى عباده ليعرفوا ربهم الحق وذلك ما جاء فى انجيل يوحنـا الاصحاح السابع الاية ٢٨ « فنادى يسـوع وهو يعلم فى الهيكل قائلا تعرفوننى وتعرفون من أين أنا ومن نفسى لم آت ، بـل الذى أرسلنى هو حق الذى أنتم لستم تعرفونه » وكمـا ورد فى نفس الانجيل الاصحاح السابع عشر الاية الثالثة « وهذه **هى** الحيـاة الابدية أن يعرفوك أنت الاله الحقيقى ويسـوع المسـيح الذى أرسلته » .

فلم يأت المسيح غامضا فى دعوته ، بل جاء بها كفلق الصبح جاء بدعوته نبيا مرسلا حيث يقول لتلاميذه فى الاصـحاح العاشر الآيتين ٤١ ، ٤٢ من انجيل متى « من يقبلكم يقبلنى . ومن يقبلنى يقبل الذى أرسلنى ، ومن يقبل نبيا باسم نبى فأجر نبى يأخذ ، ومن يقبل بارا باسم بار فأجر بار يأخذ » .

وهنا يستطيع القـارىء ، أن يتبين ماهية السيد المسـيح وكونه مرسلا من قبل الذى أرسله وهو بالطبع الله الذى يرسـل

رسله للناس رحمة وبشرى لقوم استجابوا لدعوة الله على يد رسله وعلى لسان الذين يتتلمذون على أيدى هؤلاء الرسل ، والجدير بالملاحظة أن المسيح لم يشر من بعيد أو قريب الى أنه الله أو ابن الله مما يدحض كل حجة تقول بألوهيته ·

بل تعدى السيد المسيح كل شك بأن نزل الى مستوى أن يقبل الأراجيف التى تقال فى حقه والتهكم عليه ، وأعلن أن ايذاءه يغفره الله لعباده ماداموا لم يشركوا بربهم أحدا أى أن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر مادون ذلك ، وهذا المعنى الواضح يتبين من الاصحاح الثانى عشر ، من انجيل متى الآية ٣٢ حيث تقول على لسانه عليه السلام :

« ومن قال كلمة على ابن الانسان يغفر له ، وأما من قال كلمة على الروح القدس فلن يغفر له · »

ولم يكتف المسيح بالنهى عن الشرك بالله عز وجل بل دعا الى توحيد ربه فى صراحة ووضوح ، ونزهه عن الصاحبة والولد عندما ناداه أحد أتباعه بالمعلم الصالح وكان رده عليه السلام على ذلك التابع بعبارة كلها اعتراف بالوحدانية وردت فى انجيل متى من الاصحاح التاسع عشر الآيتين ١٦ ، ١٧ « لماذا تدعونى صالحا فليس أحد صالحا الا واحد وهو الله »

وانا لنأخذ قصة على سبيل المثال وردت فى انجيل مرقص تضمنتها الآيات من ٢٨ الى ٣٤ من الاصحاح الثانى عشر لنجعلها خير شاهد على دعوة المسيح الى توحيد الله واعترافه هو بالوحدانية · وها هى القصة دون اضافات أو تعليق لأنها لا تحتاج الى تعليق :

« فجاء واحد من الكتبة وسمعهم يتحاورون ، فلما رأى أنه « اشارة الى المسيح » أجابهم حسنا سأله أية وصية هى أول الكل؟ فأجابه أن أول الوصايا هى : اسمع يا اسرائيلى الرب الهنا رب واحد وتحب الرب من كل قلبك ومن كل نفسك ومن كل فكرك ومن كل قدرتك هذه هى الوصية الاولى ·· فقال الكاتب : جيدا يامعلم بالحق قلت لأنه الله واحد وليس آخر سواه ومحبته من كل القلب ومن كل الفهم ومن كل النفس ومن كل القدرة ·· فلما رآه يسوع أنه أجاب بعقل قال له : « لست بعيدا عن ملكوت الله » ·

وان لآية قصيرة وردت فى انجيل يوحنا الاصحاح الاول الآية الثامنة عشر تقول على لسان المسيح عليه السلام « الله لم يره أحد قط » هذه الآية لغنية عن كل بيان عن عقيدة السيد المسيح فى ربه وانى لن أجد تفسيرا غير تفسير واحد أنها تشير الى أن الله تبارك وتعالى يرى ولا يرى يعلم ما بين أيدى عباده وما تخفى صدورهم وسرهم ونجواهم وعلانيتهم وهم لا يحيطون به علما ، وأن الآية تعترف اعترافا واضحا جليا أن الله جل جلاله قد احتجب عن العقول كما احتجب عن الحواس وتعالت ذاته العلية عن الاحاطة والادراك ، وتنزهت صفاته القدسية عن المشابهة والمماثلة وأن أقصى ما تدركه العقول والابصار من شئون ذاته العلية ، انما هو أسماؤه الحسنى وصفاته العليا ومظاهرها وآثارها التى تجلت فى بدائع الكائنات وعجائب المخلوقات ، وطيب النبات وأنوار ساطعات مما يملأ بقدرته ويشهد بعظمته الارض والسموات ·

وقبل أن ننتقل من تبرئة المسيح مما نسب اليه نختتم مواقف المسيح بموقف مشرف يشهد فيه المسيح أنه عبد الله ورسوله الى

قومه ، وأن كل معجزة ظهرت على يديه انما كانت من الله تأييدا لنبيه ، فاحياء الميت وابراء الاكمه والابرص وشفاء المرضى مرجعها جميعا الى الله عز وجل ولله الفاعل المحى الشافى كما يقول السيد المسيح فى انجيل يوحنا الاصحاح الثالث الآية ٢١ « **أما من يفعل الحق فيقبل الى النور لكى تظهر أعماله أنها بالله معمولة** » .

ولننتقل من قول المسيح الى قول بعض تلاميذه التى تشهد بأن المسيح عليه السلام انسان مرسل من ربه وبشر تسرى عليه نواميس الحياة ، افترش الارض والتحف السماء ، بل كان جسده كأجساد البشر جميعا يكل فيرتاح فتأخذه سنة من النوم ، ويظمأ فيرتوى بالماء ، ويجوع فيأكل ويمشى فى الاسواق ، ويعرى فيطلب الكساء ، ويشعر بالبرد فيطلب الدفء أينما كان ولكنه يمتاز بأنه رسول بلغ رسالة ربه الى الناس وذلك لقوله عليه السلام فى انجيل يوحنا الاصحاح السابق الآية السادسة « المولود من الجسد جسد هو » .

وهاهو بطرس أحد تلاميذه يقف وسط جموع محتشدة ليسمعوا عظاته ليقول ان المسيح رجل أرسله الله ، وذلك ما ورد فى سفر أعمال الرسل الاصحاح الثانى الآية ٣٣ :

« **أيها الرجال الاسرائيليون . اسمعوا هذه الاقوال : يسوع الناصرى رجل قد تبرهن لكم من قبل الله بقوات وعجائب وآيات صنعها الله بيده فى وسطكم كما أنتم تعلمون** .. »

وها هى مرثا أخت لعاذر الذى أحياه الله على يد المسيح يقص عنها يوحنا فى انجيله الاصحاح الحادى عشر الآية ٢٢ عندما ذهبت

الى المسيح مخاطبة اياه « **لكنى الآن أيضا أعلم أن كل ماتطلب من الله يعطيك الله اياه** »:

وهذه العبارة ان دلت انمـــا تـدل على أن الاوائل من اتباع السيد المسيح كانوا يؤمنون أن المسيح يستمد القوة من الله لصنع المعجزاتَ المؤيدة لنبوته ، قبل أن تمتد يد التبديل والتحريف والتغيير الى شريعة المسيح عليه السلام ·

ونختم القضية بموقف للمسيح نفسه عندما ذهب ليكون واسطة الاحياء لعاذر ، فقد صور يوحنا هذا المشهد الرائع الذى وقف فيه السيد المسيح متجها الى السماء وهى قبلة الدعـــاء ليناجى ربه مناجاة العبد الطامع فى كرم تأييده له متضرعا اليه ألا يخذله فى هذا الموقف وهنا تتجلى العناية ويقوم لعاذر من بين الاموات ·

وهنا يعيد المسيح الكرة فيتجه الى ربه شـاكرا له نصره اياه والعبارة التى وردت فى الانجيل المذكـــور الآيــة ٤٢ ، ٤٣ من الاصحاح الحادى عشر غنية عن كل بيان حين يقول السيد المسيح « **أيها الرب أشكرك لأنك سمعت لى · ولكن لاجل هذا الجمع الواقف قلت ليؤمنوا أنك أرسلتنى** » ·

والآن آن لنا أن نسأل أالله هو المسيح ؟ واذا كان المسيح ليس باله فمن الله الذى كان يستمد منه العون ؟

من كل ما تقدم يتجلّى الموقف عن حقيقة واحدة هى أن المسيح لم يكن الها ولم يدع فى يوم من الايام أنه اله ، بل دعا الى عبادة اله عظيم أرسله نبيا كما دعا الى توحيد الله ، فسبحان الله عما يصفون وسلام على عيسى المسيح ضمن عباد الله المرسلين ·

وأعتقد أنى هنا قد استطعت أن أستنبط الحجة من وجهين أولهما المنطق وهو أسلوب الجميع فى عصرنا الحديث ، وثانيهما نقلا من بقايا التوحيد فى الاناجيل المتـــداولة ، وكان لزاما على أن أعالج الموضوع معالجة من يريد الوصول الى الحقيقة ابتغاء الوصول الى الايمان الذى لا تشوبه أى شائبة من شوائب الشك ، وقد يرى القراء أنى ناقشت القضية مناقشة سهلة الاسلوب لكى نصل جميعا الى بر السلام الذى ينشده الجميع ٠

أذن فالمسيح ليس الها ٠ فهل المسيح ابن الله ؟

هذه قضية جديدة تحتاج مناقشة فالى قضية البنوة ٠٠

الفصل الثامن

قضية البنوة

أشرنا فى البـــاب الســـابق الى الكلمات التى نقلت حسب نطقهـــا فاستغلت استغلالا شنيعا للتأثير على عقول البســطاء والســذج من البشر وكان من أهم هذه الكلمات كلمــة (آب) التى نقلت من اللغة العبرية القديمة ومعناها الله الى اللغـــــة العربية فاستعملت بمعنى **الوالد** أى « **أب** » .

ومن هنا قالوا ان الله أب المسيح والمسيح ابن الله . ولو تبصرنا قليلا لوجدنا أن الانجيـــل أو الاناجيـــل بالمعنى الأعم ذكـــرت فى أكثــر من موضع على لسان المسيح نفسه كلمة « أبوكم السماوى » ، وأنه أطلق على

الملائكة وعلى المؤمنين الصالحين ، أن الله أبا لهم فى مواضع كثيرة فى أسفار العهدين القديم والجديد ، وقد أطلق أيضا اسم الابن على بعض الأنبياء ٠

فقد جاء فى الاصحاح الثالث من انجيل لوقا الآية الثامنة والعشرين فى نسب آدم أنه ابن الله **وهو ابن أنو شرين بن شيث بن آدم بن الله** » وعلى يعقوب ابن الله كما فى الاصحاح الرابع من سفر الخروج الآية « **وهكذا يقول الرب : اسرائيل ابنى البكر** » **وعلى** داوود كما جاء فى المزمور ٨٩ الآية ٢٧ « **أنا أيضا أجعله بكرا أعلى من كل ملوك الارض** ٠

وقد جاء فى انجيل يوحنا الاصحاح الرابع عشر الآيات الثلاثة الأول منه على لسان المسيح الى تلاميذه « **لا تضطرب قلوبكم ٠ أنتم تؤمنون بالله فآمنوا بى في بيت أبى منازل كثيرة ٠ والا فانى كنت قد قلت لكم ٠ أنا أمضى لأعد لكم مكانا ٠ وان مضيت وأعددت لكم مكانا آتى أيضا وآخذكم الى حتى حيث أكـــون أنا تكونون أنتم أيضا** » ٠

ان هذه الآيات تحدد لنا أربع نقاط هامـة يرتكز عليها البحث : الاولى منها وترتكز على القـول الاول « لا تضطرب قلوبكم ٠ انتم تؤمنون بالله » اشارة الى أن الايمان بالله عز وجل يكسب القلوب اطمئنانا والصدور انشراحاوللعبد أمانا واستقرارا ولذا نجدالسيد المسيح عليه السلام يقول لهم ما دمتم آمنتم بالله فلا خوف عليكم ولا أنتم تحزنون وهنا يقصد أن الايمان بالله يوجب الايمان برسله وهو أحد رسل الله عز وجل ٠

والنقطة الثانية توضح أنه من شروط الايمان بالله الايمان **برسوله ومن يطع الرسول فقد أطاع لله ، وما الايمان بالله الا ايمانا** برسالته وتصديقا برسوله وذلك من شروط الثقة بالله وعدم اضطراب القلوب .

والنقطة الثالثة وهى قوله عليه السلام « **فى بيت أبى منازل كثيرة** » بصرف النظر عن كلمة « **آبى** » التى وجدناها فى الاناجيل المخطوطة مكتوبة باللغة العيلامية « **عند ربى منازل كثيرة** » تشير الى أن منازل الانبياء والابرار تختلف كل منزلة عن الاخرى وذلك تصديقا لقول المسيح الذى أشرنا اليه فى الباب السابق « **من يقبل نبيا باسم نبى فله أجر نبى ومن يقبل بارا باسم بار فله أجر بار** »

أما النقطة الرابعة وهى التى تبدأ بأداة الاستثناء « **والا فكنت قد قلت لكم أنا أمضى لاعد لكم مكانا وان مضيت وأعددت لكم مكانا آتى أيضا وأخذكم الى حيث أكون أنا** » فانها تشير الى أن المسيح يقول لتلاميذه انى لن أستطيع أن أعد لكم مكانا حيث لا يعلم هو مكانه وأن ايمان المرء هو الذى يعد له المكان اللائق به وكل بما قدم مجزى فان قدم خيرا كانت منزلته خيرا وان قدم شرا كانت منزلته كذلك .

ولكن مع وضوح المعانى التى تشير اليها هذه الآيات الثلاثة نجد التفاسير التى بين أيدينا تقول غير ذلك وتختلق من المعانى التى لا تمت من بعيد أو قريب لتلك الآيات ، فنجد مثلا فى تفسير زكريا المحرقى أن هذه الآيات تشير الى أن جميع من آمنوا بالمسيح

سيرفعون الى السماء ويجلســـون عن يمين الآب مع المسيح حيث يكون هو على يمين الآب ٠

يمكن مناقشة هذا التفسير منطقيا ونرى النتيجة التى يمكن الوصول اليها مع عدم اغفال ما يجب أن تكون عليه المناقشة حيث يجب أن تكون من وجهين أولهما حيث جلوس المسيح الابن الوحيد لله كما جاء فى الاناجيل فى أكثر من موضع « **هـذا ابنى الحبيب الذى به سررت** » وثانيهما من حيث أن الجميع سيجلسون عن يمين الآب ٠

فاذا قلنا مع القائلين بأن المسيح هو ابن الله الحبيب نجـد العرف جرى على أن طبيعة النسل ترجع الى أصله ومادام المسيح ابن الله قد أكل فهل رأوا الله يأكل ؟ والمسيح نام فهل رأوا الله ينام سبحانه وتعالى عما يصفون ٠

والمسيح مولود ، والمولود لابد أن يكون مولودا لمولود فمن ولد اياه ؟ وان قالوا مخلوق ، فمن خلقه ؟

اذن هناك خالق أول بلا بداية وآخر بلا نهاية أزلى صمدى منزه عن الوالدية والمولودية أزلى لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد ٠

ولو سرنا معهم الى آخر الشوط فنقول أن المعروف دائما أن الأولاد متى اتسعت مداركهم تظهر لهم ميول تختلف عن ميول آبائهم مما يؤدى الى الخلاف فى الرأى والتصرف بحيث ما يفعله الأب بعقليته القديمة يخالف ما يراه الابن بعقليته الحديثة وذلك سبب تطور الحضارات ٠

فلو كان المسيح ابنا لله حقا كما زعموا لكانت النتيجة أن الأب

يبنى والابن يهدم والوالد يعطى والابن يمنع وأولهما يزيد وثانيهما ينقص وذلك بحكم تناقض الآراء .

ولو على أحسن الفروض كان الابن مطيعا فان القدرة تتفاوت والعقلية تختلف ، ومن اختلاف العقلية وتفاوت القدرة يحدث اختلال التنظيم والتدبير وتفسد السموات والارض وما بينهما .

ومن هذا السرد المنطقى نقول أنه لا يجوز للخالق أن يجعل له شريك ولو كان مع الله الها آخر فى السموات والارض لفسدتا .

ونختم مناقشة هذا الوجه بالنتيجة الحتمية وهى أن الله جل جلاله واحد فى الألوهية والربوبية لم يلد ولم يولد أى لم يلد أحدا ، لأن الوالدية تستلزم التركيب والمجانسة لان الولد جزء من أبيه ومجانس له فى ذاته وصفاته والله تعالى منزه عن التركيب والمجانسة المماثلة ، ولم يلده أحد ، لان المولودية تستلزم التركيب والمجانسة والحدوث وسبق العدم والله تعالى منزه عن ذلك كله فهو واجب الوجود الذى لا أول لوجوده ولا آخر لبقائه أى السابق على جميع الموجودات بلا بداية والباقى بعد فنائها بلا نهاية .

واذا قلنا أن جميع من آمنوا بالمسيح من يوم رسالته الى يوم بعثه سيجلسون معه على يمين الآب على كراسى بجوار كرسى العرش يكون معنى هذا أن هناك آب وأبناء ارتكازا الى كلمة « أبوكم السماوى » أى أن الأقنوم الثانى بدل أن يصير الابن يكون الأبناء وينطق التثليث « **باسم الآب والابناء والروح القدس** » ومعنى هذا أن المسيح وملايين البشر الذين آمنوا برسالته أبناء لله .

ومن هنا نقول أن الله عز وعلا ما كان له أن يتخذ شركاء من خلقه وهذا ما لا يجوز مع الله تبارك وتعالى ، ونقول أن أبوة الله الحقيقية لبعض البشر أو غيرهم من الخلق لاتعقل وأبوة التبنى تزوير يجل الله عنه كما يتنزه عن مجانسة الخلق بالأبوة الحقيقية ، والأظهر فى هذه الأبوة فى كل موضع ان صح النقل أنها مجاز عن الرحمة والرأفة والتكريم .

وهذا مايرتاح العقل الى قبوله ، الأمر الذى لايحتاج الى صراع اذ لا يمكن قبول القول بأن الله اتخذ ولدا أو أولادا لقد قالوا شيئا أدا ، وبهذا يكون الأقنوم الثانى قد لحق بالأقنوم الاول وبالقضيتين ظهر الأقنومان على أنهما اختلاق وافتراء .

الفصل التاسع

الروح القدس

الروح القدس · أمر من الأمور التى تحتاج الى بحوث طويلة ولكن موضوع الكتاب يجعلنى التزم بالكتب التى درستها ويؤمن بها أهل الكتاب ، حتى لا أكون قد خالفت ما التزمت به فى المقدمة وهو أن تكون الحجة من الانجيل والتوراة وملحقاتهما والمزامير،وحتى أستطيع توضيح ما اختلط على رجال الكهنوت والكنيسة · كما اننى وجدت أنه من الخير أن أبدأ موضوعى بذكر بعض الأقوال التى تعتبر من الطقوس الشهيرة عند بعض القساوسة ورعاة الكنيسة ·

تجد الكهنة عندما يريد أحدهم أن يبارك أى انسان فى رعيته يقول له أثناء منح البركة « **يحل عليك بروح قدسه** » ويقول آخر لمن يرى من أمره

رشدا « **اذهب فأنت بروحى التى أخذتها من الروح القدس مغفورة لك خطاياك** » أو يقول ثالث « **اذهب فأنت مشمول بنعمة الروح القدس** » .

وفى العهد القديم (التوراة) فى أكثر من موضع تجد العبارة التقليدية « **حل عليه الرب بروح قدسه** » .

ويقول داوود فى أغلب مزاميره : **أنه بالروح القدس محيت كل آثامه وخطاياه** . ويطلب من الله فى المزمور الخمسين قائلا : -

« **وروحك القدس لا تنزعه منى . امنحنى بهجة خلاصك وبروح رئاسى اعضدنى** » .

ويقول لوقا فى انجيله فى تبشير مريم عندما حملت بالمسيح « **وحل عليها الروح القدس . وبشرها الملاك** » .

اذن يتبين مما سبق أن الروح هو مشيئة الله وارادته . وهو قبس من الأمر به يكون المراد الالهى وفق ما سبق به العلم ، والروح الالهى يصح القول عليه الأمر الالهى .

فالانسان الذى تدب فيه الحياة انما تدب بالمشيئة والارادة الخلاقة .. ارادة الله الذى أراد فأرسل الى مريم روحه فتمثل بشرا سويا فيه الروح التى تعتبر سر تجلى الله على خلقه ويمكن تسميتها فى هذه الحالة روحا قدسا .

وكل شيء فى هذه الحياة فمرجعه الأمر الالهى به كان وبغيره لم يكن والنور والقدرة والسلطة والارادة والمشيئة كل ذلك روح قدس .

والروح ـوان كان علمها عند ربى ـ الا أننا تعلمنا أن للروح عدة سبل تكون عليها ، فاما أن تكون الروح بالكلمة «**كن**» أو تكون كتابا منزلا من عند الله على أحد أنبيائه ، أو رسالة نبى الى قومه أو وحيا من وراء حجاب ، أو وحيا ظاهرا ٠

فخلق آدم من تراب وتكوينه وتحويله الى صورته التى وجد عليها والنفخ فيه من روح الله روح قدسى ٠

والأمر الى نوح عليه السلام بصنع السفينة والوحى اليه روح قدس ، ونجاته وقومه من الغرق وابتلاع الارض لمائها والامر للسماء باقلاعها انما هو روح قدس ٠

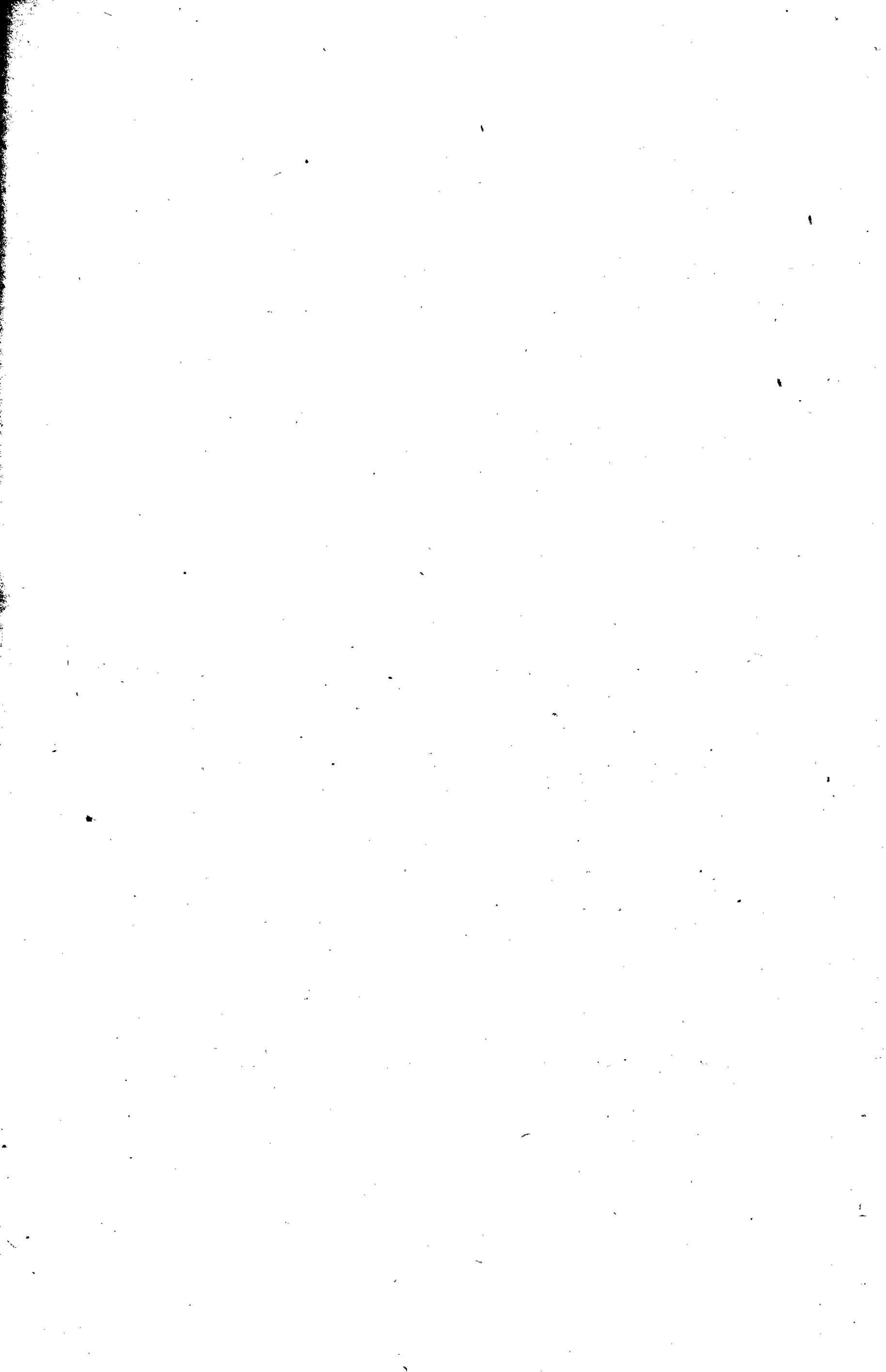
والوحى الى ابراهيم ونجاته من النار ، والأمر الى النار بأن تكون بردا وسلاما على ابراهيم هى روح قدس ٠

وحفظ يونس فى بطن الحوت ونجاته من الغم وكذلك ينجى الله عباده المؤمنين ٠

ونصرة داوود على جالوت واقامته نبيا ورسولا وملكا انما ذلك كان بأمر الله وروحا قدسا ٠

والكتب المنزلة كصحف ابراهيم وموسى والتوراة والانجيل روح من أمر الله ونور من عند الله يهدى الله به من اتبع رضوانه سبل السلام ٠

وكذلك يؤيد الله أنبياءه والصالحين من عباده بالروح القدس اذن الروح القدس قبس من أمر الله وفق مشيئته ، به يكون كل شىء وتبارك الله رب العالمين الذى جعل الروح من أمره وهى سر من أسرار علمه ٠



الفصل العاشر

قضية الصلب وتاريخ الصليب

فى الحقيقة أن قضية صلب
المسيح عليه السلام يستند القائلون
بها الى سند هو أن الله من صفاته
المحبة ومن فرط محبته رأى أن
يخلص العالم المبتعد عن الله من
عهد سقوط آدم فى الخطيئة بسبب
وراثة هذه الخطيئة فأرسل ابنه
الحبيب الوحيد ليخلص العالم ويصلب
فداء للبشر .

وان كان هذا السند يعتبر سندا
منهارا من أساسه لعدم ثبوت بنوة
المسيح لله وانهيار قضية البنوة كما
رأينا فى الفصل السابق الا أننا هنا
سنعالج هذه القضية من وجه الفداء
من ناحية ، كما سندعم الفصلين
السابقين أى ستكون دليلا جديدا على

انتفاء الالوهية أو بنوة المسيح لله من وجه آخر ٠

ولنسلم معهم جدلا بأن صلب المسيح كان تخليصا وتطهيرا لهم من خطيئة آدم ، فهل ترى أن التطهير كان لمن كان قبل المسيح حتى مجيئه ؟ أم كان للذين عاصروا المسيح ؟ أم لمن عاصروه ومن آمنوا به بعد صلبه ؟

اذا كان التطهير لمن سبق السيد المسيح فقد سبقه أنبياء اختارهم الله لرسالاته ، منهم ابراهيم الذى ينتسب اليه المسيح وموسى الذى جاء بالناموس الذى جاء المسيح ليكمله لقوله فى انجيل متى : « **لا تظنوا أنى قد جئت لأنقض الناموس أو الأنبياء ٠ ما جئت لأنقض بل لأكمل** » ومن هنا نقول أن التطهير للسابقين يصمهم بالخطيئة ، والمسيح من سلالتهم فيكون هو أيضا موصوما بنفس الخطيئة الموروثة ولو عن طريق أمه ، وكيف يطهر مخطىء خطايا المخطئين ؟

واذا كان الصلب لتكفير خطايا المعاصرين للمسيح وحدهم فلنعتبر أن كل من سبق المسيح سيظلون مخطئين الى قيام الساعة وأن الأنبياء والرسل الذين بعثوا وأرسلوا الى أقوامهم مذنبون ، وتكون النتيجة الحتمية أن خلق الله من آدم حتى ما قبل المسيح مطرودون من الجنة أو الملكوت لأن الأناجيل أجمعت على أن « **من يدخل الملكوت يكون بلا خطيئة** » ٠

فآسفاه على نوح وابراهيم واسحق واسماعيل وداوود وموسى وسليمان كل أولئك مطرودون من رحمة الله لانهم لم يكونوا مع متى ومرقس ولوقا ويوحنا تلاميذ لابن رب العالمين ٠

أما اذا كان الصلب فداء للمعاصرين واللاحقين فنقول لهؤلاء

اللاحقين وانهم قد برئوا من ذنوبهم وتطهروا بدم ابن الله الحبيبمن الخطيئة الموروثة كفوا عن الذهاب الي الكنيسة والاعتراف على يد الكاهن لأن من اغتسل بدم ابن الله فلن تلصق به خطيئة بعد ذلك لأن دم المسيح المسفوك على خشبة الصليب قد ضمن لهم الملكوت والفردوس ·

ولعل القارىء يكون قد فطن الى ما أهدف ، اذ أن قصة الفداء تعتبر قصة كتلك القصص الخرافية التى نقرؤها كل يوم لأن المفروض فى الله الذى يقولون عنه « **الله محبة** » فى استطاعته أن يغفر للناس جميعا ذنوبهم بكلمة منه لأنه هو الذى قال لآدم عندما خلقه « **كن** » فكان آدم وليست المغفرة بأصعب من خلق آدم من العدم ·

ولو ضربنا مثلا من أمثلة محبة الله لخلقه فلنضرب مثل ابراهيم الذى أمره أن يذبح ابنه وكيف نظر الله الى ابراهيم عندما تله للجبين فاذا بالله يخرج له فداء أجمعت الكتب السماوية على أنه « كبش عظيم » ·

أما كان بالأحرى أن يفدى الله عباده من بدء الخليقة الى نهاية الدنيا بكباش بعدد خلقه حتى لا يصلب ابنه · وبذلك تكون محبته عمت العالم بما فيه ابنه الحبيب والا لقلنا أن الله أحب العالم ونزع محبته من ابنه وهذا ما لا يصدقه عقل بشر · ومن هنا يمكن أن ندخل فى الموضوع من حيث هو وارد فى الأناجيل والدخول فى المناقشة الموضوعية حتى تتبين لنا الحقيقة التى نبحث عنها ·

ان المصادر التاريخية وخاصة الأناجيل تجمع أنه جاء جمع يتقدمهم يهوذا الاسخريوطى ، أحد الاثنى عشر ، ودنا من المسيح ليقبله فقال المسيح يايهوذا أبقبلة تسلم ابن البشر · وتسير قصة القبض على المسيح وقيادته الى « قيافا » رئيس الكهنة الذى قام معهم ومضوا الى بيلاطس قائلين له انه يفسد أمتنا ويمنع من أداء الجزية لقيصر لأن بيلاطس لم ير له ذنبا وكان المسيح من زمام هيرودس أرسله اليه ··· ولكن هيرودس رده الى بيلاطس الذى ظهرت عدم رغبته فى صلبه ، ولكن القوم صرخوا قائلين أصلبه فاضطر أمام رغبة الجميع أن يسلمه وأطلق لهم الله « بارا آباس » وبينما هم منطلقون الى المكان المسمى « بالجمجمة ، المحدد لصلبه قابلهم فى الطريق رجل من القيروان يسمى سمعان كان آتيا من الحقل وحملوه الصليب ·

فلنسلم جدلا بالقصة التى تقول أنه قبض على المسيح حيا وذهب فعلا لمقابلة رؤساء الكهنة وبيلاطس وهيرودس ونضع هذه القصة على منضدة التشريح فتظهر لنا فى القصة نقط هامة جدا لا يمكن اغفالها لأنها أدلة قاطعة على عدم صلب المسيح وبراهين على أن الذين ظنوا أنهم صلبوا المسيح كانوا واهمين ·

فمن القصة نستطيع أن نتبين بوضوح أن بيلاطس البنطى كان غير راغب فى تسليم المسيح حتى انه قال لهم لم أجد عليه علة تدينهولكنه أرغم على تسليمه لهم عند ماهاجوا وماجوا ، ولانستبعد أن يكون بيلاطس قام بعمل وهو الذى يملك من الجنود والحاشية الخ · وأنه لشدة حقده على اليهود وخوفا على مركزه لم يستطع

عمل أى شىء فى تلك اللحظة ولكنه أضمر فى نفسه شيئا فماذا كان هذا الشىء ؟

نستطيع ان نقول ان بيلاطس فهم أن الذى سلم المسيح لليهود هو يهوذا فوجه نظره اليه وأراد أن يقتص منه لخيانته وأن يهوذا الاسخريوطى بزيه ولحيته شديدة الشبه بالمسيح كانت من الدواعى المشجعة على أن أمر بيلاطس جنوده بعملية تبديل بين المسيح الذى لم يجد عليه علة وبين الخائن يهوذا .

ولكن الذين حرفوا وبدلوا قالوا ان يهوذا خنق نفسه كما روى انجيل متى فى اصحاحه السابع والعشرين فى الآيات من الثالثة الى السادسة « **حينئذ لما رأى يهوذا الذى أسلمه أنه قد دين ندم ورد الثلاثين من الفضة الى رؤساء الكهنة والشيوخ ... فطرح الفضة وانصرف فى الهيكل ثم مضى وخنق نفسه** » .

ولدينا دليل آخر ورد فى انجيل متى الاصحاح السابق الآية التاسعة عشر أن امرأة بيلاطس رأت رؤيا بسبب المسيح فأفزعتها فأرسلت الى زوجها تحذره من أن يمسه بسوء (**واذا كان جالسا على كرسى الولاية أرسلت اليه امرأته قائلة اياك وذلك البار لأنى تألمت كثيرا فى حلم من أجله**) وبهذا نقول ان رسالة زوجة بيلاطس اليه زادت من تصميمه على تخليص المسيح . وخصوصا أن من عادة الرومان تلبية رغبات زوجاتهم وخاصة أن طلب زوجة بيلاطس صادف هوى فى نفسه ربما كان مصمما على **تنفيذه** سرا خوفا على مركزه لأنه كان أحد ولاة قيصر واليهود يدعون أن المسيح ادعى أنه ملك ويقولون فى صراخهم (**ليس ملكا الا قيصر**)

هناك قول لبعض المؤرخين للقـــرن المسيحى الاول بأن يهوذا عندما أكله الندم وفكر فى الانتحار طرأت عليه فكرة يرتاح اليها ضميره الذى كان يؤنبه فدخل وسط الزحام والركب سائر بالمسيح وازداد عدد الجمع وارتفع الغبار تقـدم الى المسيح وحمل عنـه الصليب ومكنه من الهرب بمساعدة بعض تلاميذ المسيح أنفسهم .

وفرض آخر نسـتطيع الجزم به وهو أنه أثنـاء سـير الركب اختفى المسيح بمساعدة أتبـاع بيلاطس ، وعندما شـعر الجنـود بهروبه فلم يجدوا بدأ من أن يتصرفوا بسرعة حتى لاتلتفت الانظار وتكتشف غيابه ويحصلوا على فريسة مكان فريستهم التى ضاعت من بين أيديهم ، وكانت المصـادفة هى التى حلت المشـكلة حين قابلوا «سمعان» القيروانى فوجدوا فيه ضالتهم المنشودة فحملوه الصليب واعتبروه المسيح . والقصـة توضح لنـا أن اليهـود من الأصل كانوا غير متأكدين من شخصية المسيح ولذلك استعانوا بيهوذا الاسخريوطى للارشاد عن شخصه فأرشدهم اليـه باشارة القبلة له ، وذلك ما يجعل احتمالا أنهم ظنوا عند وصـول الركب اليهم أن حامل الصليب هو المسـيح فأخذه رؤساء الكهنـة الى الصليب فى الحال ، وبذلك كان سمعـان هو المصلوب الذى دوخ العـالم واحتار المـرخون فى أمره .

اذن كل شىء فى الاناجيـل عن صلب المسـيح يعتبر منـافيا للحقيقة لأنماسردناه من نقـاط يوضح لنـا جليـا ، بل ويجزم أن المسيح لم يصلب ولم يعلق على خشبة الصليب .

ثم لمن كان هذا الصلب؟ كان لابن الله كما يقولون ، وأستطيع أن أقول انه لايسـتطيع أى انسان مهما كان عقله تافهـا أن يقول ان الله العظيم أرسل ابنه الحبيب الى هذا العالم كى يلقى مصرعه

على خشبة الصليب بطريقة وحشـية لترضية نقمته على العالم ٠
والا لقلنا ان الله راض عن تلك الجريمـــــة ، وأن الذين ارتكبوا
هذه الجريمة مبرأون منها لأنهم ارتكبوها بأمر الله ، ويكون اللـه
قد أمر بسفك واشترك معهم « وحاشا لله » ٠

لقد كان الصلب خدعة ولكن الذين لم ينجرفوا فى التيـــار
وآمنوا بربهم أنار الله بصـــيرتهم فهدوا الى أن تلك الحــادثة
الخــادعة عديمة التــأثير على عدالة الله وضبط قوانينــه ٠ تلك
الشرائع التى تنص على مسئولية الفرد وحده عن عمله وجزائه ٠

ولقد جاء فى التوراة فى سفر زكريا فى الفقرة العاشرة من
الاصحـاح الثـــانى عشر « وأفيض على بيت داوود وعلى سكان
أورشليم روح النعمة والتضرعات فينظرون الى الذى طعنوه ٠٠»

ويقال ان التوراة تنبأت بأن أهل أورشليم ستحل عليهم النعمة
والتضرعات فيعرفون الذى طعنــوه بأنه غير المسيح فتفرح قلوبهم
بعد الحزن ، ويضحكون ويمرحون بعد النواح والبكاء ٠ وهنـــا
« ينظرون » معناها أنهم سيعرفون ٠ أى أن العالم سيكتشف فيما
بعد من الذى صلبوه ومن الذى طعنوه ٠

وكل ما ذكرته الروايات فى كلمات قالها الســيد المسـيح أو
منسوبة اليه فى الساعة التى زعموا أنه صلب فيهـا موجودة من
قبل فى أسفار التوراة واستحدثوها للايهام وسبك الخدعة ويمكن
ضرب الامثال على ذلك لا حصراً :

فقد جاء فى سفر أشعياء :

« **حينئذ بصقوا فى وجهه ولكموه وآخرون لطموه** • وفى الوقت نفسه وردت فى إنجيل متى عند ذكره حادثة الصلب •

وقد قال داوود فى مطلع مزموره الثانى والعشرين « **ايلى ايلى • لماذا شبقتنى** » أى « **الهى الهى لماذا تركتنى** » وذكرت فى جميع الآناجيل عند سرد قصة الصلب كما جاء فى مزمور داود الحادى والثلاثين الفقرة الخامسة « **فى يديك أستودع روحى** » وجاءت على أنها على لسان المسيح •

وروى داود فى مزموره التاسع والستين الآية الحادية والثلاثين « **فى عطشى سقونى خلا** » ونسبوها للمسيح على أنه سقوه خلا عند صلبه •

ولم يتأثر رجال الكنيسة باسفار العهد القديم فحسب انما تأثروا بالمصريين والبابليين والسوريين واليونانيين والهنود والأسيويين والرومان والفرس وغيرهم حيث ان هذه الشعوب ظهر فيها قبل ميلاد المسيح آلهة مخلصون جاءوا لخلاص العالم وكلهم ماتوا من أجل خطايا البشر فقد ظهر فى مصر « أزوريس » و «بعل» فى بابل ، و « كرشنا فى الهند ، وبالى فى آسيا و « ثاموسى » فى سوريا » ، « ابو بوفسيوس ، وبوومسيوس » فى اليونان وهكذا الخ •

ويمكن أن نلخص عقائد البابليين فى بعلهم حتى يتبين وجه الشبه بين عقائد المسيحيين فى مسيحهم وعقائد البابليين فى «بعل»

(١) فكما أخذ بعل أسيرا أخذ المسيح أسيرا ،

(٢) وحوكم كل من البعل والمسيح ، فالاول حوكم فى قاعة المحكمة والثانى حوكم فى قاعة بيلاطس •

(٣) وكما ضرب بعل جلد المسيح ،

(٤) وكما أخذ بعل الى الجبل أخذ المسيح الى الجمجمة ،

(٥) وكما أخذ مع بعل مجرمان أطلق سراح أحدهما ، أخذ مع المسيح لصان أطلق سراح أحدهما برآباص ٠

(٦) بعد قتل بعل تهدمت المدينة ، وكذلك بعد صلب المسيح تحطم الهيكل وخرج الموتى ودخلوا المدينة

(٧) أخذت ملابس بعل واقتسم الجنود ملابس المسيح ٠

(٨) وكما ذهب بعل الى الجبل واختفى من الحياة ، خرج المسيح من القبر وذهب الى عالم الأموات

(٩) وذهبت امرأة تبكى عند قبر بعل وذهبت مريم المجدلية تبكى عند قبر المسيح ٠

(١٠) عاد بعل الى الحياة ثانية ، وارتفع المسيح من القبر حيا ٠

وأعتقد أن هذه المقارنة تثبت بما لا يدع مجالا للشك فى أن الذين هدموا العقائد المسيحية استطاعوا أن يؤثروا فى عقول البشر حيث لم يجدوا عناء للابتداع وادخال الأقاويل وتحريف الأناجيل مما كان له الأثر الواضح فى انحراف المسيحية عن حقيقتها ٠

وانى فى هذا المقام اتماما للموضوع وايفاء للبحث حقه لا يسعنى الا أن أشير الى تاريخ الصليب باعتباره أحد المؤثرات التى تأثر بها حواريو المسيح ٠

ان اكتشاف النار كان من أهم الاكتشافات التى توصل اليها الانسان الأول وقد عرفها الانسان بالصدفة بواسطة الأحتكاكات

التى كانت تحـدث بين بعض الاشجار الجافة والمواد الصـلبة . وبذلك توصل الى توليد النار بواسطة احتكاك قطعتين من العصى . ومن ثم سحر الانسان بالنار لدرجة العبادة ثم عبد النار فعلا ثم تطورت العبادة الى قداسة ، وقد أوجب التقديس أن يجعل للنار شعارا ، وكان ذلك الشعار عصاتين متعامدتين كالصليب .

كما كان المصريون يتخذون الصليب رمزا للحب والتضحية من أجل الحب كان اليهود ينظرون الى **خشبة الصليب** على أنهـا أداة تعذيب الخارجين على القانون ، ولذا اعتبـروا أن كل من يموت على خشبة الصليب ملعون ، ولذا نجـد فى كتبهم كثيرا ، ومن هنا نقل العهد الجديد هذه العبارات والعادات ..

فمثلا جاء فى أعمال الرسل : ـ « **ولما أتموا كل ما كتب عنه انزلوه عن الخشـبة وجعلوه فى قبر** » ورسالة بولس الى أهـل غلاطية الاصحاح ٣ آية ١٣ « **المسيح افتدانا من لعنة النـاموس اذ صار لعنة لأجلنا لأنه مكتوب ملعون كل من علق على خشبة** » .

وهو يقصد ما كتب فى التوراة فى سفر التثنية والذى يقول :

« **واذا كان على انسان خطيئة حقها الموت فقتل على خشـبة الصليب لا تبت جثته على الخشـبة بل قد تدفنه فى ذلك اليوم لأن المعلق ملعون من الله فلا تنجس أرضك التى يعطيك الرب الهك نصيبا** » .

والجدير بالذكر هنا أن العبارة فيها اعتراف لبولس أن من يبت على الخشبة يكون ملعـونا على حسب نواميس اليهـود .

وبذلك هو يتضارب مع ما قاله المسيح عن نفسه من أنه كان مباركا ومقدسا ومرضيا عنه من الآب .

والقصص والروايات عن طريقة موت المسيح تختلف كل منها عن الأخرى ففى رواية تكاد تكون الوحيدة فى بابها أنه جاء الجند وكسروا ساقى المصلبين اللذين صلبا مع المسيح ، وأما يسوع فلما انتهوا اليه رأوه قد مات لم يكسروا ساقه ، لكن واحدا من الجند فتح جنبه بحربة فخرج للوقت دم وماء .

من العجيب أن نرى فى الاخبار والروايات التى تروى عن موت المسيح استثناء دائما للمسيح فمرة يأتون له بشخص يحمل له الصليب ومرة لا يكسرون ساقيه بحجة أنه قد مات وهكذا نرى كسر القوانين والعادات اليهودية مع المسيح على طول الخط .

ومع سيرنا مع هذه الرواية فى سردها حتى النهاية حين نشير الى الآية القائلة (**أن الذى شهد وشهادته حق وهو يعلم أنه يقول الحق للايمان لأن هذا كان ليتم الكتاب أنه لايكسر له عظم**).

وهنا نجد التناقض الواضح اذا كان المسيح قد صلب فمعنى هذا أن المسامير قد دقت فى لحمه وعظامه اذ لا يمكن أن نفصل العظام عن اللحم ولقد ثبت أن الجسم لا يعلق بدون سقوط الا اذا دقت المسامير فى عظام الرسغ - وبهذا تصل الى النتيجة ان العظام كسرت ومعنى هذا أن الكتاب لم يتم ، فاما أن الكتاب خطأ واما الصلب لم يحدث .

وليس أمامنا أى استنتاج الا أن نقول أن سفر العدد ذكر

وصف ذبيحة الفصح فى الفقرة الثانية عشرة فى الاصحاح التاسع ، ولا يكسروا عظما منه حسب كل فرائض **الفصح يعملونه** وعلى ذلك استنتج المسيحيون عامة ، والحواريون خاصة ، أن الله يطلب ضحية تذبح ويسيل دماؤها من أجل رضائه على العالمين .

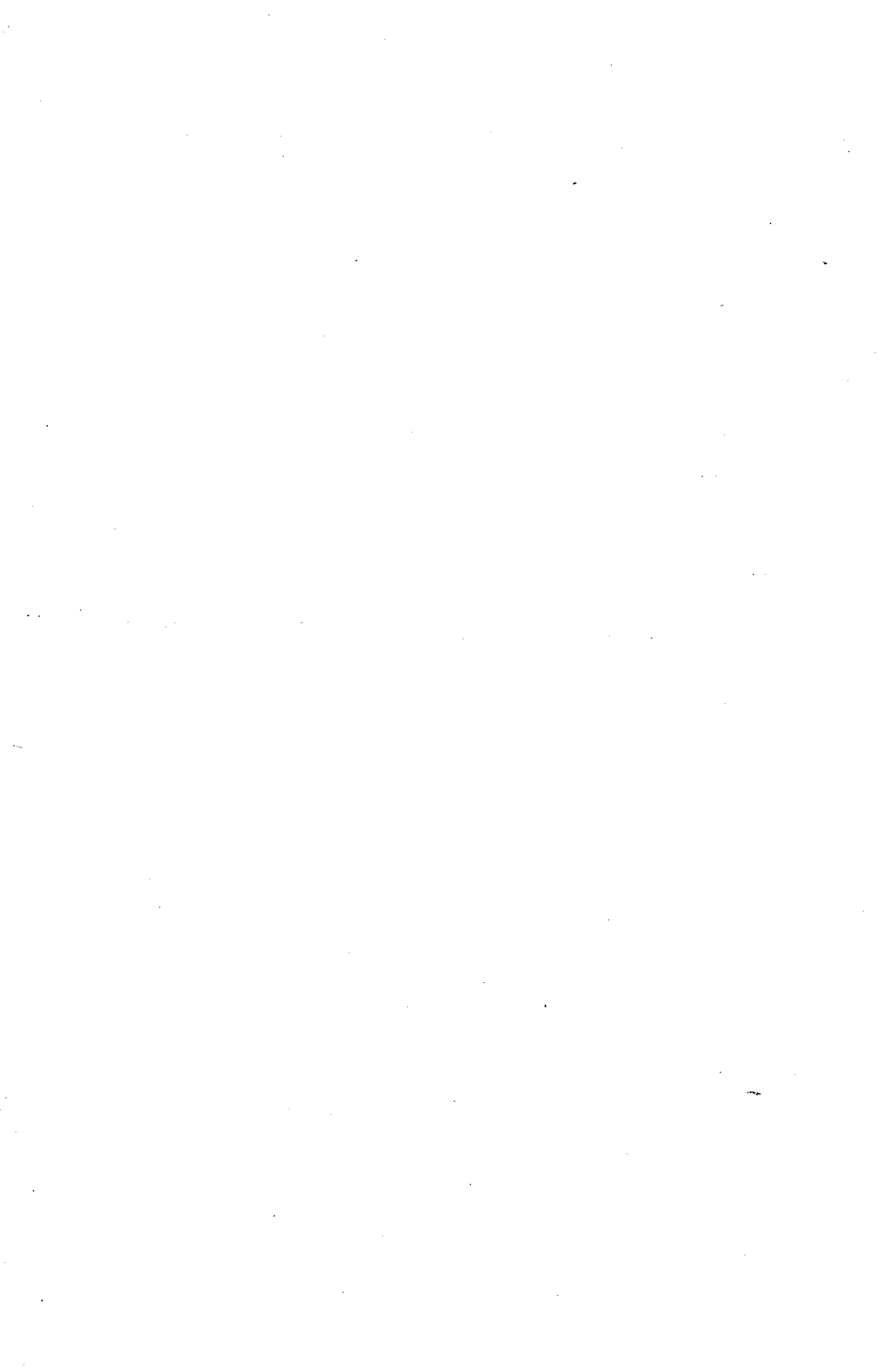
اذن فالمسيح لم يصلب وأن المسيح جاء بالمسيحية دين سماوى ورسالة الهية ليخرج بنى اسرائيل من ظلمات الماديات الى نور المعنويات السامية ، وليكمل ناموسا جاء من قبل ، ولم يكمل على يد موسى والانبياء من قبله . وقد أشارت الى ذلك الفقرات السابعة عشر والثامنة عشر من الاصحاح الخامس من انجيل متى ونسبت القول الى المسيح : « **لا تظنوا أنى قد جئت لأنقض الناموس والانبياء . ما جئت لأنقض بل لأكمل فانى الحق أقول لكم الى أن تزول السماء والارض لا يزول حرف واحد أو نقطة واحدة من الناموس حتى يكون الكل** » .

وانى لا يسعنى هنا الا أن أعلن أن كل ما آمنت به ودرسته من قبل كان ألغازا وشبه عقد لم استطع حلها آنذاك ، ولكن لما أراد الله لى الهداية وضح فى أنه لا يقوم دليل واحد يثبت صحة العقيدة التى نشأت عليها ، وأن الاله الذى آمنت به كان انسانا مظلوما وبشرا رسولا ألهه قومه تارة ونسبوا بنوته لله تارة أخرى ، ولذا آثرت أن أبحث عن الاله الحق ، لأن الحياة لا فائدة فيها بلا عقيدة سليمة تريح النفس ويطمئن اليها الفؤاد ، تنبع من فطرة الانسان السليمة التى فطر الله الناس عليها ، وبرئت من عقيدة كلها ترهات تقليدية يؤمن بها الانسان مقلدا بلا ارادة ولا تفكير .

ومن هنا بدأ بحثى عن عقيدة أو دين يوصلنى الى الايمان الصحيح بالله الذى عزمت أن أخلص له دينى ، الاله الواحد الصمدى الأزلى الذى يتنزه عن المولودية والولد ، الرؤوف الرحيم الغفور بلا ضحية يقبل التوبة عن عباده ·

واذا كان المسيح قد جاء ليكمل ناموس موسى والأنبياء كان لابد من مجىء متمم لناموس موسى والأنبياء وعيسى · ومما يؤكد هذا أن المسيح قال فى العبارة التى ذكرناها انه : « **الى أن تزول السموات والارض لا يزول حرف واحد أو نقطة واحدة من الناموس حتى يكون الكل** » ·

فالى البحث عن متمم الناموس والبحث عن الكتاب الذى أشار اليه رسول الله المسيح بأنه الكل ما فرط فيه الله من **شىء** ·



الفصل الحادى عشر
ناموس موسى

كان لابد للمتتبع الدارس الذى يريد أن يصل الى الناموس المتمم الذى جاء بعد الناموس المكمل أن يشير الى الناموس المكمل ، لأننا أشرنا فى الفصل السابق أن السيد المسيح عليه السلام جاء مكملا لناموس موسى والأنبياء ٠

والمعروف لدى جميع الأديان أن الله أرسل رسله للناس جيلا بعد جيل ليخرجو هم من ظلمات الجهالة التى استولت على عقول البشر فأعمتهم عن الخالق فعبدوا من دونه أصناما وأنصابا وحجارة حتى وصل الحال بالناس الى أن عبد بعضهم البعض مما كان لابد من بعث رسل يرسلهم الله عز وجل لئلا

يكون للناس على الله حجة فيأتون مبشرين ومنذرين ، وهنا تتجلى محبة الله لخلقه وكان الله عزيزا حكيما ٠

ونحن بصدد البحث عن الايمان بعقيدة ثابتة توصلنا الى الله عز وجل ، فانا نكتفى بأن نشير الى ناموس موسى (أى شريعة موسى) حتى نصل الى التسلسل العقائدى الصحيح الذى يخرجنا مما نحن فيه من حيرة ٠

ان ناموس موسى هو ما جاء به لبنى اسرائيل ، وقبل أن نمضى فى الموضوع كان لابد أن نشير الى معنى كلمة «اسرائيل» التى معناها فى العربية « **مخلوع الفخذ** » ويقول مؤرخو العهد القديم كما جاء فى التوراة أن يعقوب عليه السلام كان مخلوع الفخذ (أعرج) فنودى « يا اسرائيل » وقد روت التوراة قضية خلع فخذ يعقوب فى سفر التكوين الأصحاح الثانى والثلاثين فى الفقرات من الثانية والعشرين الى الخامسة والعشرين أنه عند رجوع يعقوب عليه السلام من عند خاله ، بعد أن تزوج ابنته وأنجب منها ، صارعه انسان فخلع حق فخذه وتجلى عليه الرب وسماه اسرائيل ٠ ولذلك سمى بنوه « بنى اسرائيل » الذين عاشوا فى أرض الشام بلاد كنعان « **فلسطين** » ٠

ويروى العهد القديم أنه كان ليعقوب اثنا عشر ولدا يحب اثنين منهما لأنهما من زوجته التى أحبها دون الأخرى ، وكان حبه لزوجته راحيل كما ذكر سفر التكوين من دوافع حبه لولديها « يوسف وبنيامين » مما أوقد نار الغيرة والحقد فى قلوب العشرة الآخرين من أبناء يعقوب ٠

مما جعل الاخوة يضمرون شرا ليوسف وأخيه واتفقوا على أن يتخلصوا من يوسف حتى يخلو لهم وجه أبيهم ، ولذا طلبوا من أبيهم أن يصحبوا يوسف معهم الى الرعاء ·

ومع احساس يعقوب بما يضمره الاخوة وما يكنه الغيب ليوسف الا أنه كان مدفوعا الى تحقيق رغبتهم واجابتهم لمطلبهم ، بعد أن أخذ عليهم موثقا ، تنفيذا لمشيئة عليا وضحت صورتها فى رؤيا يوسف المشهورة ، والقصة مشهورة من بدايتها الى نهايتها « قصة يوسف » التى انتهت بمجىء يعقوب وبنيه الى مصر ·

ومن هذا التاريخ سكن بنو اسرائيل مصر ، وكانت اسباط بنى اسرائيل الاثنا عشر ، فتناسلوا وكثر عددهم حتى جاء عصر استعبادهم على يد فرعون مصر ووزيره هامان الذى انتهى بارسال موسى من لدن الله ليخرجهم من الذل والعبودية ·

ذهب موسى الى فرعون مصر الذى طغى مؤيدا من ربه بالمعجزات والآيات البينات التى أجبرت فرعون على السماح لشعب اسرائيل بالخروج مع موسى · ولكن فرعون تتبعهم فكان وجنوده من المغرقين الا فرعون جعله آية لمن بعده لقوم يوقنون ·

كل ما حدث من معجزات وآيات حدث أمام أعين بنى اسرائيل وهم يعلمون أن هذا النبى وهذه المعجزات والآيات هى من لدن الحكيم الخبير لانقاذهم من براثن الطغاة ، مما كان يجدر بهم أن يحمدوا الله الذى أخرجهم من العبودية وحررهم من الذل والسخرة وأنزلهم منازل العز باطلاق اسم « **شعب الله المختار** » عليهم ·

كان المفروض فيهم وهم الذين توجوا بهذا التاج أن يكونوا مخلصين لله دينهم شاكرين لأنعمه فيأتمرون بما أمرهم وينتهـون عما نهـاهـم عنه ، ولكن هيهات لقوم استعبدتهم الدنيـا حتى خيم على قلوبهم الرين فحجب عنها الايمان ، فمالوا الى البـذخ حتى أعمى أبصارهم فتقاعسوا عن طاعة ربهم بعصيان أوامر نبيهم ٠

ان رحيل موسى ببنى اسرائيل من مصر كان يحتاج الى ايمان ثابت لأنه كان مرحلة من المراحل التى تصـادف كل أمة تريد أن تأخذ دورها فى حياة المعزة والسؤدد ، لذا لم يكن بالامر الهـين حيث لم تكن الرحلة سهلة مريحة ، لأن خروج شعب يبلغ تعداده ـ كما يقول المؤرخون ـ حوالى أربعة آلاف نسـمة تركوا بيوتهم وما فيها غير القليل من أثاثهم الذى يحتاجونه أثنـاء الرحـلة ، من الطبيعى أن تكون مثل هذه الرحـلة محفوفة بالمشاق وشظف العيش ووعثاء الطريق ، مما يمكن أن يتحمله بصـدر رحب قوم مغلوبون على أمرهم يطلبون العزة وأرض معادهم ، كما يجب أن يتقبل القوم كل جهد يأتىنتيجة جهـادهم للوصـول الى أهدافهم فى صـــبر ورضا ، لأنهم سائرون فى طريق الحـــرية الـكاملة والسيادة ، وبناء حياة جديدة جديرة بأن يبذلوا فى سبيلها النفس والنفيس ٠

ولكنهم كانوا على عكس ما كان يجب ، لأنهم عندما وصـلوا الى سيناء نكصوا على أعقـابهم وتذمروا وأعلنـوا الثورة على نبيهم رافعين راية العصـيان ، لأنه كما ورد على لســانهم فى التوراة ندموا على ترك مصر متهمـــين موسى على التغرير بهم

يقصد هلاكهم فى الصحراء ، ضاربين بكل الوصايا والتعاليم عرض الحائط ٠

ان الوصايا التى أنزلها الله على موسى فى ألواح وصحف تأمر بنى اسرايل أن يعبدوا ربهم ولا يشركوا به شيئا وألا يصنعوا تماثيل منحوتة ، ولا صورا ترمز الى أهل السموات والأرض أو البحر يقدسونها من دون الله ، وألا يقولوا على الله الا الحق ، ويكرموا الأب والأم ، وألا يقتلوا النفس التى حرم الله قتلها الا بالحق ولا يزنون ولا يسرقون ولا يشهدون الزور ولا يحسدون أحدا على نعمة أنعمها الله عليه ولا يطمعون فى أموال غيرهم ، كما حرمت عليهم استعمال الذهب والفضة فى صنع تماثيلهم ، ولا يبنون هياكل لتؤخذ ضرارا وأوكارا للشرك بالله ، كما أمرهم أن يطلقوا سراح العبيد بعد خدمتهم سبع سنوات ، وألا يأكلوا حقوق اليتامى ، وأن يحفظوا حق النساء بعد تسريحهن ، ووجهتهم الى أحسن المثل وأعلاها وأسماها فى المعاملات ، وحفظ حقوق الناس وأوصتهم التعاليم بالغريب واخراج عشور أموالهم وما الى ذلك ٠

ولكن القوم لم يحفظوا هذه الوصايا والتعاليم ، ونبذوا شريعة الله فى حياة موسى وبعد انتقاله ، ففى حياته ضربوا أسوأ الامثلة فى الضلالة والطغيان وعمى البصيرة ، وبعد انتقال موسى كانوا أشد عمى وأكثر ظلما ٠

لما صعد موسى الجبل ليكلم ربه ، اجتمع بنو اسرائيل فى

غيبته وجمعوا من حليهم وذهبهم وصنعوا لهم عجلا الها تشبها بمن قابلوهم من الشعوب ، والله محيط بهم وبعملهم فأخبر موسى بما وصل اليه القوم فرجع غضبان آسفا ليجدهم يرقصون لالههم مما زاد غضبه وطرح الالواح وكسرها واتجه الى العجل فأحرقه ونسفه فى اليم نسفا (١) وقصة بنى اسرائيل يجمع عليها جميع أصحاب الاديان الوضعية والسماوية ٠

وجميع الكتب السماوية قد أجمعت على لعنة الله لبنى اسرائيل لأنهم حادوا عن جادة الصواب عندما تلاعبوا بشرائع الله فعصوا وكانوا قوما عامين ، فتفشى فيهم كل عمل قبيح حيث بنوا الهياكل للآلهة وصنعوا التماثيل وعبدوا الاصنام المنحوتة التى احتفظوا بها فى بيوتهم مثل (البعل) ، و(الطرافين) و (العشطاروث) و (البعليم) وغيرها من الأصنام ، وانتشر بينهم الزنا ، وكثرت الفحشاء ، وجعلوا المادة كل همهم فى الحياة واتخذوها وسيلة لاستعباد غيرهم من الشعوب ، وطغى غنيهم على فقيرهم ، وبطش قويهم بضعيفهم ، واحتقر عظيمهم حقيرهم **وقتلوا أنبياءهم ، وأحلوا أسواقهم محل بيوت العبادة ونصبوا فيها موائد الربا الفاحش حتى ضاعت بينهم المثل العليا رغم الفساد واستشرى ٠ وانقسموا شيعا وأحزابا منهم الكتبة والفريسيون والربانيون والقرائيون ، وانقسموا أخيرا الى دولتى صهيون واسرائيل حاربت كل منهما الاخرى ، مما جعل اللعنة**

(١) ارجع الى كتاب اليهود من الكتب المقدسة للمؤلف ٠

تنزل عليهم وتضرب عليهم الذلة والمسكنة ويبوؤوا بغضب من الله فكتب عليهم التيه فأصبحوا عن رحمة الله مبعدين ٠

ان رسالة موسى فى جوهرها كانت تتجه الى تنظيم الحيـــاة الدنيـا تنظيما يتفق وروح العصر الذى جاءت فيـه ٠ كما كانت تتفق وحاجة الشعب المهاجر ، لأن من سنة الله ـ ولن تجد لسنة الله تبديلا ـ أن كل دين يتفق وروح العصر الذى جاء فيه هـذا الدين والشعب الذى جاء من أجله الدين ٠

فرسالة نوح كانت تدعو كما كانت دعوة ابراهيم تدعـو الى عبادة الله والايمان به وترك عبادة الاصنام ولم تتعرضا للحيـاة الاجتماعية الا النذر القليل الذى تقضى به الضرورة كدرء المفاسد وغيرها ٠

كما كانت رسالة لوط وشعيب وهود وصالح بجانب الدعـوة الى الايمان بالله كانت تدعو الى محاربة عادات فاسدة متأصلة فى كل أمة من الامم التى بعثوا اليها ٠

وكذلك رسالة موسى كانت محددة المعـالم ، التى أهمها انقاذ ذلك الشعب المسـتعبد والخروج به من قبضة فرعون وملئه ، وان تضمنت الدعوة الى فرعون ليعرف ربه ، ولكنها فى النهـاية لم تتعد تنظيم هذا الشعب وكفالة الاستقرار له فى مهجره ، فكانت ناموسا محددا لشعب محدد فى عصر محدد لا يمكن أن تتعـداه الى عصور أخرى تبعا لتطور المجتمعات وتقدم الحضارات ٠

وبعد أن انتقل موسى جاء أنبياء ومتنبئون ، كان جل دعوتهم

تركيزا لدعوة موسى عليه السلام ، فواجهوا شعبا صلب الرقبة كما وصفه موسى (غليظ القفا) لا يعيرهم أذنا صاغية الا القليل ولكن الكثرة كانت جاحدة ، قتلت بعض هؤلاء الانبياء ورجمت الآخرين •

وبانحراف قوم موسى عن دعوته ، ولأن الدعوة ـ كما قدمنا ـ كانت قاصرة على الماديات ، ولأن القوم انجرفوا فى تيار المادة وانحرفوا عن صفة الاعتدالحتى أخلدوا الى الارض •

كان لابد من أن يرسل الله بشرا رسولا برسالة يغلب عليها السمو وترتفع بالبشرية من المادية الجامدة الى المعنويات الخالدة ، وذلك كدواء للقلوب المتحجرة والعيون التى أعماها بريق الذهب والفضة والنفوس التى ران عليها ظلام الخطيئة فتحيا من جديد وتخرج من سباتها العميق الى التفكر فى رب السموات والارض وعبادته وحده •

فكانت رحمة الله لعباده واعطاء بنى اسرائيل الفرصة ليثوبوا الى رشدهم فيفتح الله لهم أبواب مغفرته اذا ما عادوا وتابوا فيجدوا الله توابا رحيما •

أرسل الله اليهم المسيح عيسى بن مريم بناموس يكمل ناموس موسى والانبياء ، ولذا أرسله آية فى ولادته ومعجزة فى خلقه وروحانيا فى رسالته •

الفصل الثانى عشر

المسيح والناموس المكمل

من الواضح بعد ما تقدم أن بنى
اسرائيل أعمتهم الضلالة مما كان
لابد معه أن يرسل اليهم رسول
بناموس يكمل ناموس موسى على أن
تكون فيه صفات الاعجاز ولو بنقطة
توقظ عندهم روح المناقشة ، ولذا
أرسل الله المسيح معجزة روحية
بحتة تتمثل فيها قدرة الله وتتجلى
فيها عظمة الخالق سبحانه وتعالى
حتى تفيق النفوس وتنتبه فيتحول
تفكيرها من الارض الى السماء ،
وتنتزع من التراب والرغام الى
آفاق بعيدة من النور الالهى ،
وهكذا كان خلق المسيح عليه السلام
من أم دون أب خلقا من روح الله
فكانت معجزة المعجزات فى عهدهم

جعلتهم فى حيرة من أمرهم وأخيرا لم ير أكثرهم بدا من الايمان به كمخلص أتى ليخلصهم من بؤرهم ٠

ان رسالة السيد المسيح عليه السلام كانت رسالة روحية تولد العشق الربانى الناتج عن حب العبد لربه ، جاءت ناموسا للضمير نسيجه النور الالهى ، ونبراسا للقلب المنتظر فى تحفز لتلقى الضوء الذى يستنير به ، وخطابا ملكياموجها للنفوس التى تبحث عن الطريق السوى من خالق النفوس ومسويها يلهمها تقواها فتتمسك بذلك الطريق بمجرد الاهتداء الى أول خيط من خيوطه ٠

جاءت المسيحية تنادى بالوحدانية المطلقة عن حدود القيد وعدم الشرك بالله حين قالها السيد المسيح « **اسمع يا اسرائيلى الهنا رب واحد** » ٠جاء المسيح داعيا الى محبة الله تلك المحبة التى يجب أن تملأ القلوب بحيث لا تكون هناك محبة فى القلب سوى محبة الله ، وتحب الرب من كل قلبك ومن كل نفسك ومن كل فكرك » ٠

جاءت المسيحية على لسان المسيح خالية من المادة والحدود والقوانين لأنها جاءت لتبصر أعينا ونفوسا طمستها المادة فأعمتها عن جلال وجمال مطالب الروح ، وتدعوها الى التخلص من شوائب الشرك والسير فى طريق الله ، جاء المسيح ليداوى مرضى النفوس والقلوب وقد بين فى قوله الهدف من جيئة باعتباره طبيبا « لايحتاج الاصحاح الى طبيب بل المرضى » ٠

جاءت المسيحية تعلن على الملأ أن الحياة الحقيقية للذين

يحيون فى الله ، وأن الحياة فى الله معناها تفضيل كل عمل للآخرة على أى عمل فى الدنيا ، وأن الحياة **ليست** هى حياة الجسد ، انما الحياة هى حياة الروح وحياة الروح هى الفناء فى الله ، فيأخذ الله نفس العبد منه اليه ويشغل بوجود الله عن وجوده ، وأن المؤمن هو الحى وأن لا حياة بلا ايمان ، ويتضح جليا هذا الامر عند ما جاء أحد أتباع المسيح يستأذنه فى دفن أبيه غير المؤمن ، فقال له المسيح عليه السلام : « **دع الموتى يدفنون مؤتاهم** » .

قد اعتنت تعاليم المسيح عليه السلام بالروح أكثر من الجسد واعتبرت أن الجسد اناء للروح ، وكثيرا ما يحمل جسد نفسا شريرة فلا يستحق هذا الجسد الحياة ، ولذا قال لتلاميذه : **لا تخافوا من الذين يقتلون الجسد ، بل الحرى أن تخافوا من الذى يقتل النفس والجسد** » .

والمسيحية بحكم طبيعة القوم الذين بعث فيهم السيد المسيح كانت تنفر من المادة وتبغض المال وتخير أتباعها بين أمرين : اما أن يخدموا المال أو يخدموا خالق الانسان وماله «**لا يستطيع أحدكم أن يخدم سيدين ، اما أن يخدم الله أو يخدم المال** » .

كان حب الله رمزا للمسيحية فى كل أطوار رسالة السيد المسيح حيث كان يقول لهم : « **من أحب أبا أو أما أو أبا أو ابنا أكثرمن الله فهو لا يستحق أن يكون مؤمنا** » .

وهكذا جاءت المسيحية ناموسا من النور المعنوى ليكمل ناموسا ماديا حيث لا تستقيم الماديات بلا معنويات تكملها ، وكذلك لا تستقيم المعنويات بلا ماديات تحركها ، لأن الجسد

بلا روح يصبح هشيما تذروه الرياح ، والروح لابد لها من جسد تمتطيه أو تتجلى عليه فتدفعه وتحركه الى غاياتها السامية » .

ان المسيحية جاءت ناموسا مكملا لناموس موسى بالمعانى الخالدة والتعاليم الصافية للايمان . لا تعترف بالشعوذة حيث لا طقوس فيها ، لاتؤله بشرا لأنها تدعو الى عبادة الله وحده ، ولا تنادى الا باله واحد لا شريك له لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد .

وما المسيح الا بشرا رسولا : اعترف فى أكثر من موضع من مواضع الانجيل أنه ابن الانسان ، كما أشار أكثر من مرة أنه رسول قد خلت من قبله الرسل ، ودعا الناس لأن يقبلوه كنبى ومن قبله كنبى ، فله أجر نبى ، وأشار الى أن من يقبل الرسول يقبل من أرسله « **من قبلنى فقد قبل الذى قبلنى وهو حق** » .

فسلام الله على المسيح عيسى وعلى من قبله من الانبياء . الذين جاء من بعدهم ليكمل شرائعهم ونواميسهم .

وهنا نقول اتماما للبحث يجب أن نبحث عن الناموس المتمم الذى يجمع بين الدنيا والآخرة ويصلح من عقائد الربوبية ، وينزه الخالق عن الوالدية والمولودية ، والذى يفتح باب التوبة للعصاة بلا قنوط ولا يأس من روح الله ولا يعترف بخطيئة موروثة ، ولا ذنب لأى من البشر الا بما قدمت يداه . والذى يعالج المجتمعات ويقيم الدول على أساس سليم بغير انكباب على الدنيا حتى لاتصدأ الروح ويبتعد المخلوق عن الخالق فينفلت عيار المجتمعات ، وبدون رهبانية ولا عكوف فى الصوامع ودور العبادات حتى يتعطل ركب الحياة .

الفصل الثالث عشر
الناموس المتمم

ان ناموس موسى كان تنظيما لشعب مهاجر ، كما كان وقفا على هذا الشعب ملائما لطبيعته المادية التى جبل عليها مماجعله غير كفيل بالتعميم ، كما كان يميل بالتنظيم الدنيوى ، الا قليلا من الوصايا التى توجه الى الله والى الحياة الآخرة ، مما حدا باليهود الى الانحراف والانكباب على الدنيا انكبابا جعلهم لايفرقون بين الحلال والحرام . بل كان كل همهم ارضاء شهواتهم بجمع المال مما ربى فيهم الاثرة والأنانية وحب الذات .. العوامل التى أنستهم المثل العليا فنسوا «نسوا الله فأنساهم أنفسهم»

وجاء ناموس المسيح عيسى مكملا لشريعة موسى لتلاشى الثغرات ، ويصلح من حال اليهود ويقوم اعوجاجهم ، فدعا الى الروحانية المطلقة فكانت رسالة المسيحية داعية للصفاء الروحى ، والرحمة واللين والتسامح والزهد ٠

وكان من أهم أهداف السيد المسيح عليه السلام التهذيب الروحى والتطهير الوجدانى ، وانقد بل محاربة الطقوس الجامدة والمظاهر الخاوية فى شعائر اليهود ، ورد الروح والحياة الى الضمير الاسرائيلى وبذلك تركت المسيحية « **ما لقيصر للقيصر وما لله لله** » وصيغت على أساس أن الدين صلة بين العبد وربه ، وأن القانون صلة بين الفرد والدولة ٠

ومن هنا كانت العزلة بين الدين والدنيا فى حياة كل من اليهود والمسيحيين ، ولكن الحقيقة الواقعة تنطق بأن طبائع البشر تخالف ذلك ٠ اذ لا تستقيم حياة كل شىء فى هذه الدنيا الا بالدافع الدينى ، وكذلك ليس للدين قائمة الا بالدنيا ، اذ الدين والدنيا توأمان لا ينفصلان ٠

مما كان لابد من ناموس متمم فى شكل جديد بحيث يتولى الانسان فيضع قوانينه ونظمه ، كما يتولى فى الوقت ذاته ضميره لايفرق بين السلوك والمعاملات ، فيكون الجمع بين الدين والدنيا فى توجيهات ذلك الناموس وتشريعاته ، وبذلك يتم التوحيد بين عالم الارض وعالم السماء فى نظام واحد يعيش فى ضمير الانسان فردا ، كما يحيا فى واقع ذلك الانسان كجماعة ، فلا ينفصل النشاط

العملى عن الوازع الدينى ، ولا يتعــدد جوهر الدين المــوحد **وان** اختلفت مظاهره ومسالكه .

ولا بد للبشر من ذلك الناموس وتلك الشريعة وهذا التشريع المتكامل الذى تكون تعاليمه وتوجيهاته وشعـائره التعبدية حلقـة متصلة متماسكة ، وعباداته ومعاملاته غير منفصلة احداها تكمل الاخرى ، ويكون قوامه الاتحاد التام بين الحياة فى هـذه الدنيـا وبين الحياة فى الآخرة ، كما يحتم المزج بين العقيدة والاجتماع .

ولا بد للحياة من أن تخلو من الكهانة والوساطـة بين الخلق والخـالق ، فكل انســان فى أطراف الارض وفى فجـــاج البحر يسـتطيع بمفرده أن يتصل بربه بغير وساطــة **كاهن أو قسيس** ، فلا يجب أن يكون لانسان ما حق خاص فى رقاب النـاس ، ويجب أن يكون الكل مصيرهم الى الله .

لأن أى مبدأ من المبادىء أو دين من الاديان يشتم منه رائحة الجنــوح الذى يخالف طبيعتــه البشرية التى جمعت بين اللطيفة الالهية والطبيعة البشرية كفيل بأن ينفر الناس منه .

لأنه قد يطرق سمع الانسان نداء يدعوه الى اعتناق دين من **الاديان** فيفر من هذا الدين بعد نظرة خاطفة الى مظهـره نتيجة تنسم رائحة التكليف المبنى على الارغام والاكراه على اعتناق هذا أو ذاك دون مناقشة أسراره وتعاليمه والبحث فى خفاياه ، لأنه من العسير على العقل الواعى والوجدان المتحـــرر والضمير اليقظ والالهام الفطرى أن يطمئن لدين يجبر معتنقيه على الايمان به ،

وذلك يخالف ما فطر عليه الانسان من حرية التفكير والبحث فى كنه ما يدرى وما لا يدرى ٠

لأن الانسان دائما بفطرته جبل على أن يمعن النظر وينصت ويصيخ السمع الى الدين الذى يحل جميع مسائله المعقدة التى تعترضه فى مرحلتى حياته حاضرا ومستقبلا ويضع حدا لصراعه الفكرى ٠

وكلما كانت الدعوة التى يدعى الانسان الى الايمان بها سلسلة واضحة لا تعقيد فيها ولا تكليف ولا اكراه ، تحمل فى ظاهرها وباطنها ما يتفق والفطرة البشرية التى فطر الله عليها خلقه ٠ كانت دعوة غنية بوسائل الدعوة لنفسها ومبادئها ، ويتهافت الناس على الايمان بها بدافع الفطرة لانها لا تحتاج الى دعاة يستعملون أساليب الكياسة والفطنة المدعمة بمعسول الالفاظ والمنطق الخلاب حتى يجروا المعتنقين اليها جرا ، ويجذبوا المؤمنين اليها جذبا ، وذلك لان الحقائق ليست بضاعة تتعلق بمطالب ورغبات الجسد الترابى ، انما هى مطلب من مطالب الروح والعقل ، والروح والعقل يبغيان وينشدان الحقائق الواضحة التى لا التواء فيها ولا دوران ٠

وكان حتما بعد هذا الصراع الفكرى الذى خضته والمعركة التى قامت بين العقل والعقيدة ، الوصول الى غايتى المنشودة وأملى المرتجى وهدفى الذى أبحث عنه ، وكما كنت جادا فى البحث متحرقا شوقا الى الوصول الى الناموس المتمم ، كنت أيها القارىء ترانى بعين بصيرتك أهدأ أحيانا ولم يكن ذلك ادبارا

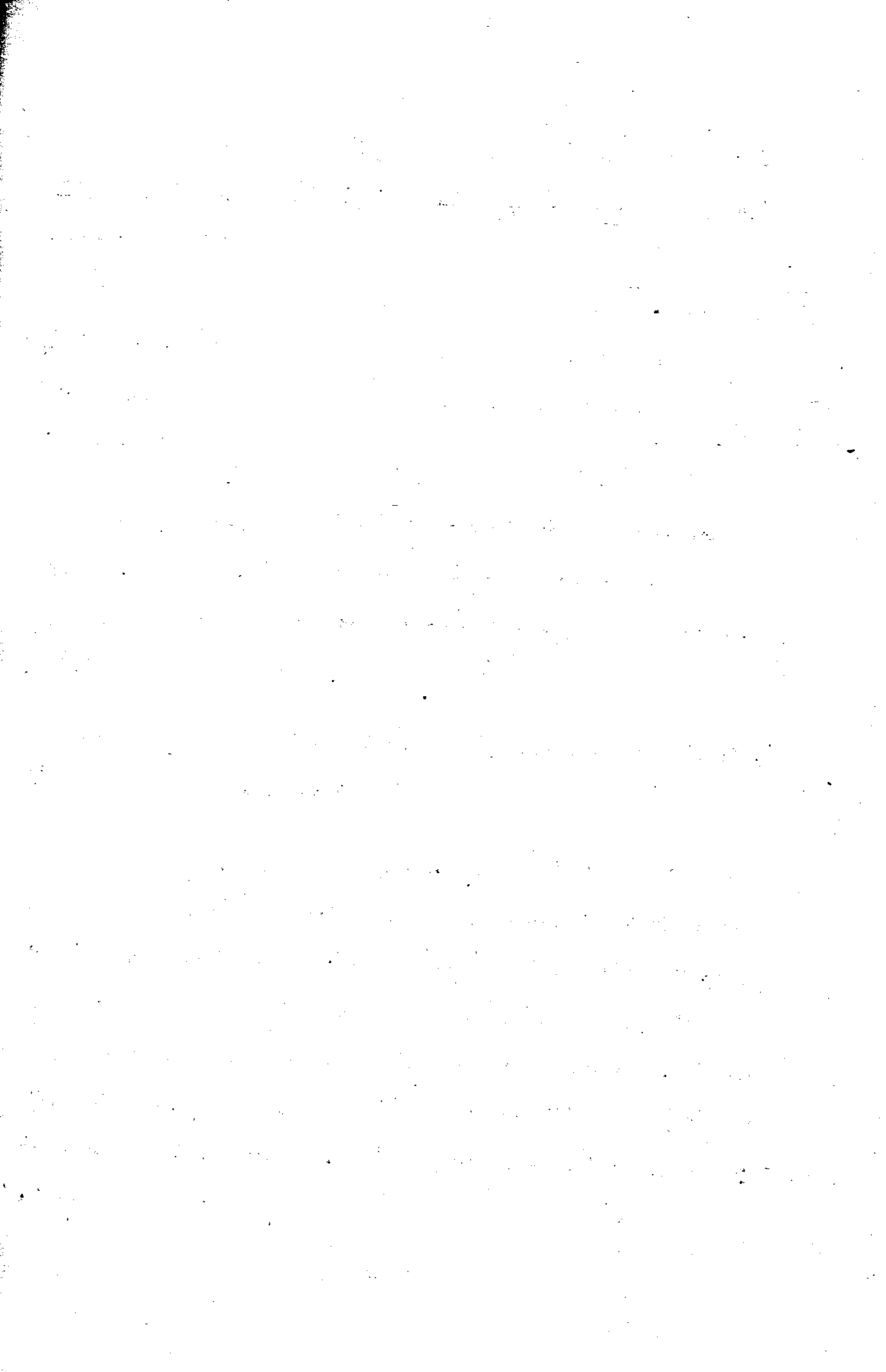
للعقل أمام العقيدة . انما كان العقل فى هدوئه دائمـــا متحرفا لقتال حتى انتصر على العقيدة ووصل الى النـاموس المتمم حيث وجده فى دين الاسلام ..

الذى ماكدت أطرق باب البحث فى دروبه ومسالـكه وأمسـك بأول الخيط وأبدأ فى المقارنة بين الذى كنت أدين به وبين هـــذا الدين الحنيف حتى وجدت الجواب والضالـة المنشودة وفصـــل الخطـاب ..

وجدت لكل سؤال جوابا شافيا ، وعثرت على ما لم يستطع أى دين سابق ، سواء كان ذلك الدين وضعيا أو منحدرا من الاديان السماوية أو مبدأ من المبادىء الفلسفية اقناعى بـه من أسـئلة حائرة امتلأ بها وجدانى ..

ومن أهم هذه الاسئلة العقيدة فى الربوبية ، فوجدت الاسلام قد وضع كل شىء فى نصابه .

واذ اعتذر الى السيد القارىء اذ أنى لن أستطيع الكتابة فى جميع نواحى الاسلام تفصيلا ، الا أنى ملتزم بأن أتحدث فى موقف الاسلام فى اصلاح عقائد الآلوهية والربوبية ، واعتراف المسيحية بالاسلام ونبيه ، ودليـــل نبوة محمد صـلوات الله عليه لان تلك المواضيع تعتبر الركائز الاساسية فى سر ايمانى بعد مناحى الشك التى كتبت عنها فى الفصول السابقة ، ذلك بعد الاشارة الى اعتراف المسيحية بالاسلام ونبيه وبيـــان موقف الاســلام من المسيح والمسيحية .



الفصل الرابع عشر

اعتراف المسيح والمسيحية بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم

يقول السيد المسيح عليه السلام انه جاء ليكمل ناموس موسى والأنبياء ولذا أصبحت كتب المسيحية المقدسة هى العهدين القديم والجديد وأصبحت أسفار العهد القديم جزءا ضروريا ومقدسا لدى المسيحيين لانهم يعتمدون على ما ورد فيها فى اثبات حقيقة المسيح وولادته وألوهيته وصلبه وما الى غير ذلك مما ورد فى كتبهم ، والعهد القديم يمثل التوراة التى يؤمن بها اليهود ، ولكن اليهود تبرءوا من النصوص الحالية لأسفار التوراة بعد استحداث « التلمود » وهو الكتاب المقدس لديهم ، وبعد أن قال المسيحيون اعتمادا على الاسفار : ليس اليهود على شىء ، وقالت اليهود

بعد استحداث التلمود : ليست النصارى على شيء ، على هذا قلنا وبنينا قولنا على ان الكتب المقدسة عند المسيحيين هى أسفار العهد القديم مضافا اليها الاناجيل والرسالات والاعمال التى قام بها تلاميذ المسيح وسميت بالعهد الجديد ·

ولو رجعنا الى هذه الكتب المقدسة التىتوجد بين يدىمسيحى العالم على اختلاف مذاهبهم وطوائفهم وعقائدهم وأمعنا النظر فيها استظهارا للحقائق لوجدنا بين طياتها ما يشير اشارات صريحة الى أن هناك نبيا سيأتى بعد المسيح على أن يكون من صلب ابراهيم ، وسيكون من ولد اسماعيل بن هاجر ·

ولكن قبل أن ندخل فى الموضوع لابد أن نمهد له حتى يكون القارىء على بينة من تسلسله ان سماه موضوعا ، أو تتضح له المناقشة ان سماه قضية تحتاج الى دليل الاثبات ، والتمهيد يأتى من انجيل يوحنا الذى يقص علينا أن يوحنا المعمدان عندما ذهب ليعمد الناس من نهر الاردن ، وكان ذلك فى عهد السيد المسيح عليه السلام ، فتصدى له اليهود المكتوب عندهم فى التوراة ان المسيح آت وسيأتى بعده نبى ، وسألوه سؤالا ورد فى الاصحاح الاول الآية ٢٥ من الانجيل المذكور « **فسألوه فما بالك تعمد ان كنت لست المسيح ! ولا ايليا ! ولا النبى ! ؟** » ·

من سؤال اليهود ليوحنا نستطيع أن نستنتج أن **هناك نبيا** بشرت به كتبهم حيث ان السؤال كان فى عهد السيد المسيح **وان ايليا** كان نبيا من أنبياء بنى اسرائيل جاء بعد موسى وقبل المسيح ، **وقيل** انه النبى الذى أوجد فكرة التعميد التى كانت جزءا من

دعوته • والجدير بالذكر ، اشارة لا موضوعا ، ان فكرة التعميد التطهير في مواعيد محددة وأنهار محـــددة كانت عند الهنـــود ولا زالت حيث يغتسلون فى بعض الانهـــار المقدســـة عندهم فى أعيادهم لانها شعيرة من شعائر البوذيين التعبدية •

اذن كانت هناك ضرورة للبحث عن الاشـــارة الى النبى فى كتب اليهود أى أسفار العهد القديم الذى يعترف بها يوحنا صاحب الانجيل ، وبالبحث وجدنا اشارات كثيرة فى مواضع متفرقة ولكن لضيق المقام من حيث أن هذا الكتاب يبين سر ايمان مؤلفه بالاسلام وبذلك كان لابد أن يطرق عدة مسالك لتوضيح السر وربما كان فى النية اخراج كتاب يقف موضوعه على الاعتراف بنبوة المصطفى صلوات الله عليه عند أهل الكتاب ، ولأن البحث بدأ بأن النبى من سلالة اسماعيل ابن ابراهيم عليهما السلام ، اكتفينا باثبات النقطة الثانية وايراد الاشارات المثبتة لذلك •

فقد وردت فى سفر التكوين قصة السيدة هاجر زوجة سيدنا ابراهيم التى سكنت بولدها فى صحراء العرب التى أشارت اليها التوراة باسم « برية » فاران •

كما جاء فى الآية ٢٠ ، ٢١ فى الاصحاح الحـــادى والعشرين **« وكان الله مع الغلام فكبر وسكن فى البرية ••• وسكن فى برية فاران »** •

وهذا لا يختلف مع القرآن الكريم فى ســورة ابراهيم ، على لسان ابراهيم عليه السلام : **« ربنا انى أسكنت من ذريتى بواد غير ذى زرع عند بيتك المحرم ، ربنا ليقيموا الصلاة فاجعل أفئدة من**

الناس تهوى اليهم وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون » .

والقرآن حين ذكر على لسـان ابراهيم « **أسكنت من ذريتى »** اشارة الى ما ورد فى نفس الاصحاح من نفس السفر فى الآيـة الثامنة عشرة : « **قومى احملى الغلام وشدى يدك به لأنى سأجعله أمة عظيمة »** .

وهنا اشارة يجب ألا نغفلها ، أن ابراهيم أمر بذبح ابنه كما أجمعت الكتب السماوية ، وان اختلف المسيحيون والمسـلمون فى تسمية هـذا الابن ، فقال الاولون أنه اسحـاق كما ورد فى سـفر التكوين ، وقال الآخرون أنه اسماعيل ، ولكن اليهود أصحـاب التوراة الحقيقيين قالوا فى « التلمود » انه اسماعيل ، ويزيدنـا تأكيدا أنه اسماعيل الذى افتداه الله بكبش عظيم ما ورد فى سفر أشعياء الاصحاح السـتين الآية السابقة « كل غنم قيـدار تجتمع اليك . كباش نبايوت تخدمك تصعد مقبولة على مذبحى وازين بيت جمالى» وقيدار ونبايوت ـ كما ذكرتهما التوراة ـ انهما من أولاد اسماعيل وقد سماهما باسمى مكانين يقعان بين جبل عرفات(الذى كان يقال له قيدار لعظيم قدره) وسـيدى عرب مكان تشترى منه ذبائح الفـداء بالقرب من مكة (الذى قيل له انه (نبـايوت) أى مكان الذبح نسبة الى أن ابراهيم أمر بذبح اسماعيل فى هذا المكان . وقيدار ونبايوت اسمان كلدانيان وردا على لسـان ابراهيم الذى كان يسكن أور الكلدانيين بجوار العراق وهو أول من أدخل اللغة للكلدانية الى شبه جزيرة العرب .

اذن فاسماعيل الذبيح وهو الذى سكن أرض فاران ، والنبى

سيأتي من سلالة اسماعيل · ويزيد على ذلك انه يثبت انه من بنى زهرة وان بنى زهرة ترجع فى الاصل الى نبايوت بن اسماعيل ، والذى يزيدنا تأكيدا ان سفر التثنية ، وهو من الاسفار التى كتبت بعد رحيل موسى الى ربه ، وضع سلسلة جميلة للانبياء وأعاد ذكر فاران بعد اشارة بيت لحم مكان مولد السيد المسيح عليه السلام ·

حيث قال فى الاصحاح الثالث والثلاثين : جاء الرب من سيناء (مكان تكليم موسى) وأشرق لهم من (بيت لحم) وتلألأ فى فاران (مكة) ·

اذن النبى هو محمد الذى جاء من سلالة اسماعيل والذى ولد فى بطحاء فاران (الذى يجدونه مكتوبا عندهم فى التوراة والانجيل) وهو النبى الذى أشار اليه الكتبة والفريسيون فى سؤالهم ليوحنا المعمدان كما ورد فى انجيل يوحنا ·

وكما أشارت التوراة أشارت كتب العهد الجديد ، الا اننا قبل الدخول فى اعترافات رسائل العهد الجديد نقول:انه وردت عبارات وكلمات فى الأناجيل المكتوبة باللغة القبطية كلمات (الفارافليط ، ومسيا) والاولى جاءت فى عبارة فى الانجيل المخطوط الذى كتبه أحد البطاركة فى سنة ٥٠٦ بعد الميلاد على لسان السيد المسيح ومعناها : (**الآتى بعدى يسمى الفارافليط بذكراطور**) أى الروح المنشق اسمه من اسم الحمد سيبعث الحياة فى أمة ليست لها من الحياة نصيب الا الضلال فى برية (**فاران كجحاش الآتن**) –

سبق أن أشرنا أن برية فاران هى صحراء شبه جزيرة العرب (١)

وأما الكلمة الثانية (مسيا) وردت فى انجيل بِرنابا ومعناها (الرسول) وهى كلمة عبرية من اللغة العبرية القديمة التى ترجع أصولها الى اللغة الكبدوكية احدى اللغات التى كتبت بها الاناجيل وبشر بها حواريو المسيح ٠

ولم يرو التاريخ من قبل أن نبيا أتى باسم (مسيا الفاراقليط بندكراطور) الا رسول الله محمد الذى يتبين أن اسمه منشق من اسم الحِمد ٠

ويزداد الامر وضوحا حينما ندخل الى الاناجيـــل لنرى أن السيد المسيح أشار الى هذا النبى فى أكثر من موضع على أنــه الحجر الذى رفعه البنــاءون تارة ، وتارة يشـــير الى أن الكتاب الذى سينزل عليه يكون الــكل أى المتمم الخاتم لجميـــع الكتب السماوية ، وتارة أخرى يشير الى أمته على أنهــا الامـــة التى ستنتزع ملكوت السموات وتعمل له وتجنى ثماره ، ومرة أخـــرى يشير اليه على أنه روح الحق المعزى الذى يرشد الناس الى جميع الحق ، الذى لا ينطق به عن هوى انما هو يوحى اليه ٠

ففى انجيل متى الأصحاح الحادى والعشرين الآيتين الثانيـــة والاربعين والثالثة والاربعين جاء على لسان السيد المسيح « **أما قرأتم قط فى الكتب ، الحجر الذى رفضه البناءون هو قد صار**

---

(١) الانجيل المخطوط منزوع الغلاف ، وقال كاتبه فى ديباجته انه نقلا من أصول الانجيل الحقيقى ٠

رأس الزاوية من قبل الرب . كان هذا وهو عجيب فى أعيننا ، لذلك أقول لكم ان ملكوت الله ينزع منكم ويعطى لأمة تعمل ثماره » .

ان هذه الفقرات تشير الى تبشير السيد المسيح بالنبى محمد صلوات الله عليه والذى يصفه بأنه الحجر رأس الزاوية أى المتمم للبناء الذى بدأ به الأنبياء والمرسلون من آدم حتى المسيح عليهم جميعا السلام ، وأن هذا النبى سيرفضه قومه لانهم لا يعرفونه لعمى أصاب بصائرهم ورين طمس على قلوبهم مع أنه من قبل (الرب) الله ، وكذلك اليهود والنصارى وذلك واضح فى أن الخطاب موجه للسابقين واللاحقين ، كما يشير المسيح الى الدهشة التى ستستولى على القوم الذين يبعث فيهم ، ولكنه يقول : ان أمة هذا النبى ستكون خير الامم بعملها وايمانها الذى يجعلها جديرة بانتزاع ملكوت السموات ، وذلك عن طريق الاعتراف بجميع الرسل بما فيهم المسيح المكمل للناموس كما علمهم القرآن فى سورة آل عمران : **(قل آمنا بالله وما أنزل علينا وما أنزل على ابراهيم واسماعيل واسحق ويعقوب والاسباط وما أوتى موسى وعيسى والنبيون من ربهم ، لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون) .**

ومن هنا آمن المسلمون بما أنزل اليهم من ربهم والمؤمنون ، كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا يفرقون بين أحد من رسله وذلك ما ورد فى سورة البقرة « **آمن الرسول بما أنزل اليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله ، لا نفرق بين أحد من رسله ، وقالوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا واليك المصير » .**

وبهذا الايمان ، وبانتزاع ملكوت السموات استحق المؤمنون من أتباع ذلك الرسول صلوات الله عليه والذين يكرمون كل تكريم

من الله الذى خاطبهم فى سورة آل عمران « **كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله** » .

وفى نفس الانجيل فى الاصحاح الخامس الآيتين السابعة عشرة والثامنة عشرة قال المسيح : .... **فانى الحق أقول لكم الى أن تزول السماء والارض لا يزول حرف واحد أو نقطة واحدة من الناموس حتى يكون الكل** » .

والكل هنا كما سبقت اليه الاشارة هو القرآن الكريم الذى فيه نبأ السلف وأخبار الخلف ، فيه قصص من سبق من الأنبياء وابتلائهم على أيدى أقوامهم . فيه هدى للمتقين ووعيد للكافرين، وتنظيم للحياتين الدنيا والآخرة روح من رب العالمين نزل على قلب بشر لم يؤت من قبل فنون الكلام ، وما كان يدرى ما الكتاب ولا الايمان كما جاء فى سورة الشورى : « **وكذلك أوحينا اليك روحا من أمرنا ما كنت تدرى ما الكتاب ولا الايمان ، ولكن جعلناه نورا نهدى به من نشاء من عبادنا وانك لتهدى الى صراط مستقيم**»

وقد ورد فى نفس الانجيل الاصحاح الاول ان المسيح من سلالة ابراهيم عليه السلام وأنه جاء لخراف بنى اسرائيل الضالة، ونحن نعرف أن اسرائيل (يعقوب) عليه السلام ابن ابراهيم عليه السلام ، وكذلك النبى محمد هو من سلالة اسماعيل بن ابراهيم عليه السلام وأنه جاء ليتمم الرسالة التى بدأها جده عليه السلام . جاء للناس كافة يدعوهم الى عبادة الله وحده والتمسك بدين ابراهيم ورسالة الحنيفية السمحاء كما أمر من ربه فى سورة آل عمران : **أن اتبع ملة ابراهيم حنيفا وما كان من المشركين** » .

والمسيح عليه السلام لم يأل جهدا فى التأكيد بمجىء النبى عليه الصلاة والسلام ذلك النبى روح الحق المعزى الذى يكون رحمة للعالمين ٠

« **ان كنتم تحبوننى فاحفظوا وصاياى ، وانا أطلب من الآب فيعطيكم معزيا آخر ليمكث معكم الى الأبد ، روح الحق المعزى الذى لا يقبله العالم لأنه لا يعرفه** » ٠

واشارة المسيح تحمل معنى واحدا لا يحتمل أى تأويل هو أن ذلك الروح الحق المعزى جاء للناس كافة لان كلمة العالم تشير الى الجمع أى الى أهل الارض جميعا ٠

وقد أراد بعض أعداء الاسلام أن يضربوه بسهامهم فارتدت تلك السهام الى نحورهم ، أرادوا به كيدا فاذا هم الأخسرون ، أرادوا أن يقولوا ان الروح هو كتاب من عند الله فجاءت اشارتهم الى القرآن وهم لا يعلمون ٠

فاذا كان الروح بشرا نبيا فهو محمد الرسول المرسل رحمة للعالمين ولن ترضى عنه اليهود ولا النصارى ، كما جاء ان العالم سيرفضه لأنه يرفض أن يتبع ملتهم التى استحدثوها وابتدعوها كقول الله فى سورة البقرة : « **وما أرسلناك الا كافة للناس بشيرا ونذيرا ولا تسأل عن أصحاب الجحيم ، ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم** » ٠ وكما جاء فى سورة الانبياء : **وما أرسلناك الا رحمة للعالمين** » ٠

وان كان كتابا منزلا من عند الله فهو القرآن الكريم الذى نزله

على صدر محمد لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، آية فى الاعجاز ٠

ودليلنا على نبوة خاتم المرسلين ، الذى أوحى به اليه تفصيلا من رب العالمين وروحا من أمره كما هو فى الآية التى وردت فى آخر سورة الشورى وأشرنا اليها فى الصفحات السابقة : « **وكذلك أوحينا اليك روحا من أمرنا ٠٠٠ » الآية ٠**

والمعلوم أن كل رسول يأتى الى قومه برسالة تتفق وظروفهم وتتناسب وعقولهم وبيئاتهم ، وكل نبى من الأنبياء لرسالته حدود لن يتعداها ، لأنه أمر ممن سبق علمه أن ادراك ومفاهيم خلقه فى ذلك العهد لا تحتمل أكثر مما ألقى اليهم من رسولهم ٠

وهذه الملاحظة أشار اليها السيد المسيح عليه السلام فىعبارته: « **ان لى أمورا كثيرة أيضا لاقول لكم ولكن لا تستطيعون أن تحتملوا الآن ٠ وأما متى جاء ذلك روح الحق فهو يرشدكم الى جميع الحق لانه لا يتكلم من نفسه ، بكل ما يسمع يتكلم به ويخبركم بأمور آتية** » ٠

والمسيح يبصر أمته بأن لديه أسرارا كثيرة تفوق طاقة احتمالهم وأنه سيأتى الوقت المناسب لمجىء الرسول الذى يعنيه بالروح الحق ، فتكون العقول قد تفتحت ، والقلوب قد ذهب عنها رينها والنفوس قد ألهمت بعد فجورها بتقواها ، فى هذه اللحظة فقط يكون الناس قد استعدت أفهامهم واتسعت مداركهم لاحتمال كل ما يلقى اليهم على لسان هذا النبى الذى **لا يتكلم من نفسه ٠ انما** من وحى يوحى اليه ٠

اذن المسيح يشير الى محمد صلوات الله عليه الذى أوحى اليه من ربه بالقرآن الذى نزل « **تبيانا لكل شىء وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين** » لا من نفسه انما هو وحى يوحى اليه « **وما ينطق عن الهوى ان هو الا وحى يوحى علمه شديد القوى** » ٠

وبعد هذا السرد الموجز الذى سمح به المقام نختتم باشارة لها قيمتها من حيث تدعيم ما سبق سرده ، وهذه الاشارة نأخذها من كتاب « المسيح الصريح » الجزء الاول ص ١٧٣ : Clear chris للمؤرخ الالمانى Lodtig لودفج ٠ وهذا المؤلف الذى يحتوى على أربعة أجزاء والمترجم من اللغة الالمانية الى عدة لغات منها اللغة الانجليزية التى أخذنا منها نص القصة التى سنوردها لتكون من أكبر الأدلة على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم ، والتى تقول :

« ذهب وفد من مسيحى العرب الذين كانوا يسكنون يثرب الى نبى العرب محمد وكان الوفد مكونا من ثلاثة أشخاص أولهم يسمى « عبد المسيح » وكان أمير قومه والثانى يسمى « آثيؤس » وكان مسجل أصول الأسر وسلسلة النسب ، والثالث يدعى « ميتاؤس » وكان أسقفا وسط قومه يشار اليه بالبنان ٠

وكان « ميتاؤس » متعجرفا ظهرت صورة عجرفته فى امتطائه ظهر بغلته وهو يحدث النبى ، وفى جوار بغلته وقف أخوه « ايكوزناس » الذى اهتز غضبا لظهور معجزة لهذا النبى بأن غاصت أرجل بغلة « ميتاؤس » فى الرمال مما جعله يوجه ألفاظا نابية الى محمد ٠ مما جعل « ميتاؤس » يعنف أخاه « الكوزناس » ويقول له : ان الكتب التى لدينا تقول ان هذا نبى ، ولولا شرفنا

فى قومنا وخوفنا من ضياع هيبتنا بين الرومان الــذين يعينوننا بالأموال لاتبعناه وبشرنا به بين قومنا ٠

وبالرجوع الى كتب السيرة الاسلامية وجـدنا أصـــلا لهذه القصة فى سيرة النبى لابن هشام وزادت أن كوزناس أسلم وسمى (كوز بن علقمة) وبشر بما سمع من أخيه ٠

وفى الكتاب ذاته فى الصفحة رقم ٣٠٨ يروى للكاتب أن أحد الرهبان قال ان صفات محمد مكتوبة عندهم فى الوضائع المختومة التى لا يمكن أن تكون فى تناول اليـد ، ولم يشر المؤلف الى اسم الراهب ولا الى اسم المكان الذى حفظت فيه هذه الوضائع ٠

اذن محمد صلى الله عليه وسلم نبى ورسول وهو خاتم الأنبياء ويتمم الأنبياء ومتمم الناموس الذى نـــزل عليه الكتـــاب المتمم للناموس وهو الذى أشار اليه السيد المسيح عليه السلام ، على انه هو الروح المعزى ، والحجر رأس الزاوية المتمم لجميـــع نواميس الانبياء وخاتم المرسلين ٠

« ربنا اننا سمعنا مناديا ينادى للايمان أن آمنوا بربكم فآمنا ، ربنا فاغفر لنا ذنوبنا وكفر عنا سيئاتنا وتوفنا مع الأبرار ، ربنـا وآتنا ما وعدتنا على رسلك ولا تخزنا يـــوم القيامة انك لا تخلف الميعاد » ٠

الفصل الخامس عشر

موقف الإسلام من المسيح والمسيحية

من الحق المكتسب للقارىء الذى عرف فى الفصل السابق اعترافات المسيحية وتنبؤات السيد المسيح بمحمد صلى الله عليه وسلم أن يقف على رأى الإسلام فى المسيح والمسيحية ، ولذا كان من الضرورى أن نوضح ذلك ولو فى عجالة موجزة تفى بالغرض المطلوب .

قلنا فيما سبق ان الاسلام دين الناس كافة اعترف بما سبقه من الاديان والرسل ، وأشرنا الى آيات الايمان بما أنزل على الرسل لاتفرق بين رسول ورسول ، وفى مواضع متعددة تجل عن الحصر تعرض القرآن لذكر الانبياء ورسالاتهم وأخبار أقوامهم معهم وما لاقوه فى

سبيل تبليغ رسالاتهم . بل تعرض الى صفات كل نبى ، فقد ورد عن اسماعيل أنه صادق الوعد وكان نبيا . وابراهيم آنه لم يكن يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما ، هكذا عرض القرآن صفات كل نبى والغاية من بعثه فى قومه ، والمعجزات والآيات التى صنعها الله على يديه .

ففى سورة آل عمران حدد الله شخصية المسيح الانسان بقوله:
« ان مثل عيسى عنـد الله كمثل آدم خلقـه من تراب ثم قال له كن فيكون » .

وفى سورة النساء يوضح لنا موقف المسيح من ربه ، ومدى اعتزازه بالعبودية لله عز وجل فيقـول : « **لن يستنكف المسيح أن يكون عبدا لله ولا الملائكة المقربـون ومن يستنكف عن عبادتـه ويستكبر فسيحشرهم اليه جميعا** » .

وفى سورة المائـدة ينعت الله الذين ألهوا المسيح بالكفـر ويتوعدهم بالعذاب الأليم بقوله جل ثناؤه : **لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح بن مريم . قل فمن يملك من الله شيئا ان أراد الله أن يهلك المسيح بن مريم وأمه ومن فى الارض جميعا . ولله ملك السموات والارض وما بينهما ، يخلق ما يشاء والله على كل شىء قدير » .**

ومع ما وصف الله به الذين قالوا ان المسيح اله الا أنه لم ينقص المسيح وأمه شيئا ، فقـد أعلى منزلة مريم الى درجـة الاصطفاء والتطهير بقولـه تقدست أسـماؤه وتباركت آلاؤه فى سورة آل عمران :

« **واذ قالت الملائكة يا مريم ان الله اصطفاك وطهرك واصطفاك على نساء العالمين** » .

ومع هذا الاصطفاء والتطهير ، وزيادة فيهما وتكريما لها يأمرها بما أمر عباده المرسلين والمخلصين « **يا مريم اقنتى لربك واسجدى واركعى مع الراكعين** » .

وفى سورة المائدة يحـــدد صفة المسيح وماهيته ووظيفته ثم تقتضى حكمة الحكيم ألا يترك قولا لجــاحد مفتر ، فيحدد صــفة مريم أم المسيح بقوله عز شأنه : « **ما المسيح بن مريم الا رســول قد خلت من قبله الرسل وأمه صديقة كانا يأكلان الطعــام** ، **أنظر كيف نبين لهم الآيات ثم أنظر أنى يؤفكون** » .

وفى سورة مريم نجد القرآن قد أورد وصف المسيح ومقامه على لسان المسيح نفسه : « **قال انى عبد الله آتانى الكتاب وجعلنى نبيا وجعلنى مباركا أينما كنت وأوصانى بالصلاة والزكاة مادمت حيا ، وبرا بوالدتى ولم يجعلنى جبارا شــقيا ، والسلام على يوم ولدت ويوم أموت ويوم أبعث حيا** » .

وفى نفس السياق يعقب الله عز وجل على قـــول عيسى عليه السلام فى سياق قرآنى بديع من أروع أمثلة الحجــاج القرآنى فيقول سبحانه وتعالى فى نفس السورة : « **ذلك عيسى بن مريم قول الحق الذى فيه يمترون . ما كان لله أن يتخذ من ولد سبحانه اذا قضى أمرا فانما يقول له كن فيكون** » .

وفى أسلوب ربانى يسوق الله الحجة على لسان عيسى عليه السلام حين يسأله صاحب العلم بالاجابة جل جلاله فى ســورة

المائـــدة : « **واذ قال الله يا عيسى بن مريم أأنت قلت للنـــاس اتخذونى وأمى الهين من دون الله ؟** » ٠

فيجيب عيسى عليه السلام باجابة كلها خضوع لله وخشـوع واقرار بالعبودية واعتراف بالوحدانية : « **قال سبحانك ما يكـون لى أن أقول ما ليس لى بحق ، ان كنت قلته فقد علمته ، تعلم مافى نفسى ولا أعلم ما فى نفسك انك أنت علام الغيـوب ، ما قلت لهم الا ما أمرتنى به ، أن اعبدوا الله ربى وربكم ، وكنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم ، فلما توفيتنى كنت أنت الرقيب عليهم ، وأنت على كل شىء شهيد** « ٠

ثم يفوض أمرهم الى خالقهم بقوله :

« **ان تعذبهم فانهم عبادك وان تغفـــر لهم فانك أنت العزيز الحكيم** » ٠

شتان بين موقف أتباع المسيح ومن يدعـــون أنهم أتباعـــه وحواريوه وبين موقف القرآن الكريم من المسيح ، فقد أساء اليه الذين يقولون أنهم تلاميذه وحواريوه حين ألهـوه وأمه بقولهم ـ انه اله وانها والدة الاله ٠

ولكن الله الذى يجتبى رسله أبى الا أن يكرم المسيح فى رسالة محمد بن عبد الله ، فقد كرمه القرآن أعلا تكريم ووضعه فى أعز المنازل بين أقرانه من الانبياء والمرسلين ٠

فتارة يصفه بأنه البشير النذير وكلمة الله الى مريم ، والوجيه فى الدنيا والآخرة ، والقربى من الله عز وجل فى الدارين فيقول

عز وجل فى سورة آل عمران على لســان الملائكة الى مريم : **« ان الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح عيسى بن مريم وجيها فى الدنيا والآخرة ومن المقربين »** وفى نفس الســورة يخاطب الله عيسى عليه السلام : **« اذ قال الله يا عيسى انى متوفيك ورافعك الى وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا الى يوم القيامة »** ٠

وفى سورة النساء يصف الله نبيه أنه روح من الله بقوله تعالى: **« انما المسيح عيسى بن مريم رسول الله وكلمته ألقاها الى مريم وروح منه »** ٠

وفى سورة المائدة بين الله عز وجل رســالة عيسى الى قومه ومركزه فى ركب الرسل الذين أتوا من عند الله رسول تلو رسول فقد قال صاحب الاسماء الحسنى : **« وقفينا على آثارهم بعيسى بن مريم مصدقا لما بين يديه من التوراة وآتيناه الانجيل فيه هــدى ونور ومصدقا لما بين يديه من التوراة وهدى وموعظة للمتقين »** ٠

ولقد أيد الله المسيح عيسى بمعجزات وآيات بينــات ثبت بهــا فؤاده ونصره على قومه ، كما جاء فى سورة المائدة : **« اذ قــال الله يا عيسى بن مريم أذكر نعمتى عليك وعلى والدتك ٠ اذ أيدتك بروح القدس تكلم الناس فى المهد وكهلا ٠ واذ علمتك الكتــاب والحكمة والتوراة والانجيل واذ تخلق من الطين كهيئــة الطيــر باذنى ، فتنفخ فيها فتكون طيرا باذنى وتبرىء الاكمــه والابرص باذنى ، واذ تخرج الموتى باذنى ، واذ كففت بنى اسرائيــل عنك اذ جئتهم بالبينات ٠ فقال الذين كفروا منهم ان هذا الا سحر مبين،**

وإذ أوحيت الى الحواريين أن آمنوا بى وبرسولى قالوا آمنا واشهد بأننا مسلمون » .

ويدافع الله عن نبيه ويكفر من قال بألوهيته فى سورة المائدة « **لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح بن مريم »** .

وفى نفس السورة يقول الله على لسان عيسى المسيح الذى يأمر أتباعه أن يعبدوا الله وحده : **وقال المسيح يا بنى اسرائيل اعبدوا الله ربى وربكم وأنه من يشرك بالله فقد حرم عليه الجنة ، ومأواه النار وما للظالمين من أنصار »** .

ويتضح رأى الاسلام فى التثليث حيث يقول الله عز وجل فى سورة المائدة : « **لقد كفر الذين قالوا ان الله ثالث ثلاثة ، وما من اله الا اله واحد وان لم ينتهوا عما يقولون ليمسن الذين كفروا منهم عذاب أليم ، أفلا يتوبون الى الله ويستغفرونه والله غفور رحيم »** .

وكما قدمنا ان البنوة بالنسبة للخلق جميعا جرأة مجحفة فى حق الله عز وجل ، وبنوة المسيح لله شرك . وقد فند القرآن هذه المزاعم فى سورة المائدة حينما رد على اليهود والنصارى حين قال الاولون انهم شعب الله المختار ، وقال الآخرون نحن أبناء الله بقوله تعالى : « **قالت اليهود والنصارى نحن أبناء الله وأحباؤه ، قل : فلم يعذبكم بذنوبكم ؟ بل أنتم بشر ممن خلق ، يغفر لمن يشاء ، ويعذب من يشاء ولله ملك السموات والارض وما بينهما واليه المصير »** .

ثم يفند القرآن مزاعم القوم فى نقطة حساســـة نقطة صلب المسيح عليه السلام فبعد أن يبرىء المسيح وأمه يشير الى أن قومه اعتبروه شخصية وهمية بنوها على الظن ثم يـــرد اعتباره اليه وذلك فى سورة النساء يقول الله عز وجل : « **وبكفرهم وقولهم على مريم بهتانا عظيما وقولهم انا قتلنا المسيح عيسى بن مريم رسول الله ، وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم ، وان الذين اختلفوا فيه لفى شك منه · ما لهم به من علم الا اتباع الظن ، وما قتلوه يقينا · بل رفعه الله اليه · وكان الله عزيزا حكيما** » ·

والقرآن يوجه فصل الخطاب وينادى أهل الكتاب أن الله واحد لا شريك له ، واحد فى الذات والصـفات ، فليستمعوا الى الأمر ويوحدوا ربهم ويؤمنوا به وينتهوا عن الافتراءات ، فيقـــول الله سبحانه وتعالى فى سورة النســــاء : « **فآمنوا بالله ورسوله · ولا تقولوا ثلاثة · انتهوا خيرا لكم ، انما الله اله واحد سـبحانه أن يكون له ولد · له ما فى السـموات وما فى الارض وكفى بالله وكيلا** » ·

هذا موقف الاسلام ، الرسالة التى جاء بها محمد عليه الصلاة والسلام من عيسى المسيح عبد الله ورسوله ، وذاك موقف الـذين يدعون أنهم يؤمنون بالمسيح فأى الموقفين أكرم ؟ ····

ممالا مرية فيه أن ما ورد فى القرآن هو قول الحق الذى فيه يمترون فان ينتهوا فهو خير لهم ، والله ليس بغافل عما يفترون ·

ولا يفوتنا فى هذا المجال أن نذكر موقف الاســـلام من الأمة المسيحية بعد أن وضح موقفه من المسيح ، لان الاسلام دين الحق الذى بعث الله به محمدا ليظهره على الدين كله ، كان حتمـا أن يكون موقفه موقف الذى يريد أن يجمع شتات القوم بدعوته اليهم ليدخلهم فى حظيرة الايمان ·

فبعد أن دعا الله النصارى بجميع أســاليب الحجة وأفانين الدعوة الحسنة الى الايمان ، كدعوة الله اليهم ، بأن أمر نبيه مثلا أن يناظر وفداً من نصارى نجران فى سورة آل عمــران : « **فمن حاجك فيه من بعد ما جاءك من العلم ، فقل تعالــوا ندع أبناءنا وأبناءكم ، ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفســكم ، ثم نبتهــل فنجعل لعنة الله على الكاذبين** » •

وبعد أن دعاهم الى الايمان بالله فى محاجة سليمة فى نفس السورة : « **قل يا أهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم أن لانعبد الا الله ولا نشرك به شيئا ، ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا ان لا نعبــد الا الله ولا نشرك به شيئــا ، ولا يتخــذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله • فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون** » •

بعد هذا كله لم نجد أن الاسلام الا وقد أمر المسلمين بالود والاقساط اليهم • ولم يجردهم من حقوقهم فى المجتمع وان قول الله تعالى فى ذلك لأبلغ مما نقول : « **لينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم فى الدين ولم يخرجوكم من دياركم ، أن تبروهم وتقسطوا اليهم ان الله يحب المقسطين** » •

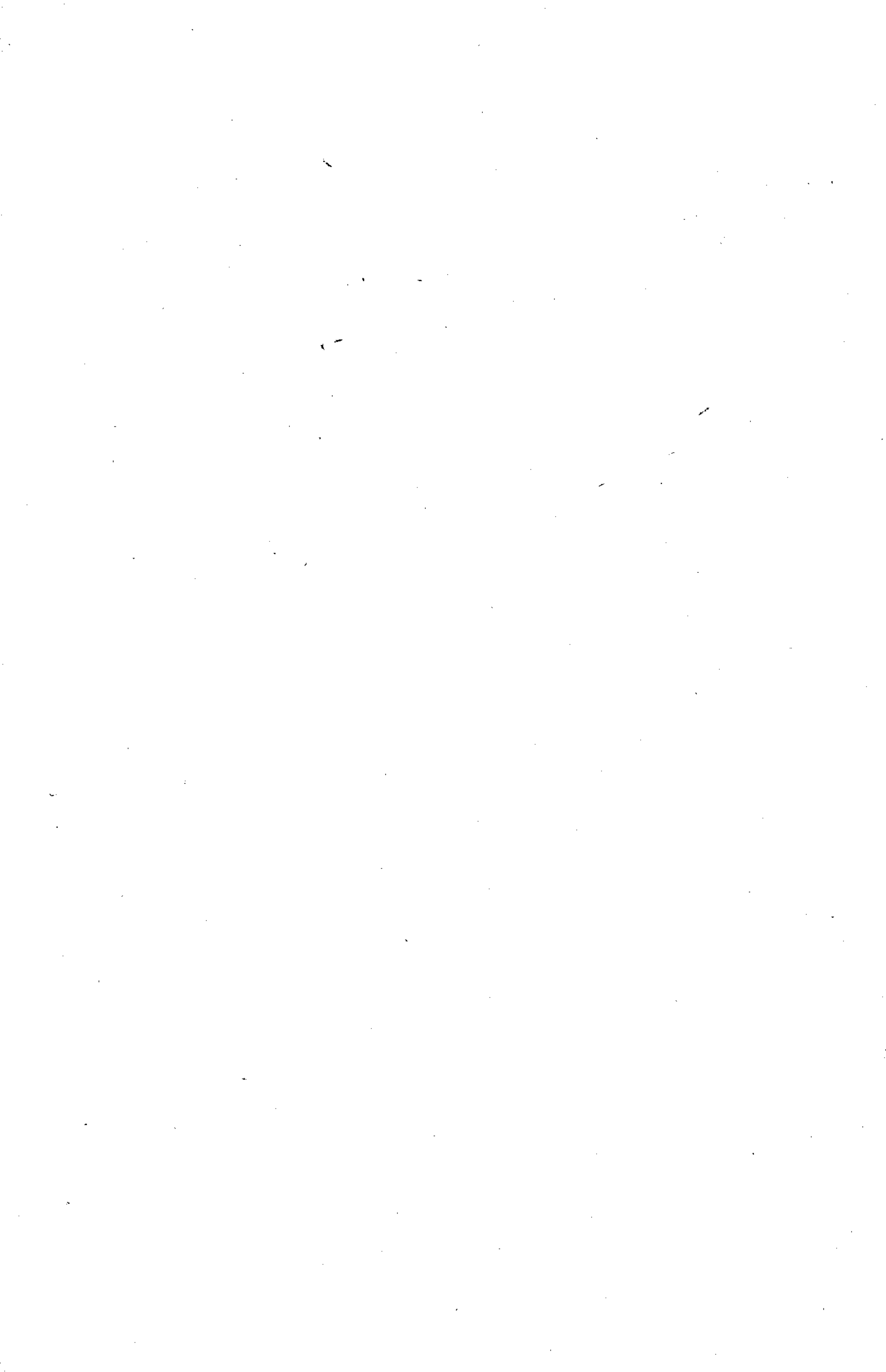
وكما كان موقف القرآن كان موقف محمد صلوات الله عليه ، فقد جعل لهم ما للمســلمين من حقــوق ، وعليهم ما عليهم من الواجبات ، وأمر بصيانة معابدهم ، وأعطاهم حرية العبادة ، فلم يهدم صومعة ، ولم يحرم على عابد عبادته ، بل نزلت الآيات فى القرآن الكريم تفرق بينهم وبين اليهــود الــذين آذوا المسلمين ، وكانوا فتنة ، وان أبلغ وصف للمسيحيين لتجده فى سورة المائدة قول الله تعالى : « **لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهـود**

والذين أشركوا ، ولتجدن أقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا انا نصارى ذلك بأن منهم قسيسين ورهبانا وأنهم لا يستكبرون ، واذا سمعوا ما أنزل الى الرسول ترى أعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق يقولون ربنا آمنا فاكتبنا مع الشاهدين ومالنا لا نؤمن بالله وما جاءنا من الحق ، ونطمع أن يدخلنا ربنا مع القوم الصالحين ، فأثابهم الله بما قالوا جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها وذلك جزاء المحسنين » .

وهكذا كانت دعوة الاسلام كلها سماحة لانها الحنيفية السمحاء ، تقرر حرية الاديان ، حرية العبادة ، تكفل الحرية والمساواة لأتباع المسيح ماداموا على دفع الجزية ، فى الوقت الذى يدفع فيه المسلمون الزكاة .

والفرق بين الجزية والزكاة ، أن الجزية يدفعها دافعها كضريبة للدولة التى تحميه وتكفل له الحياة الحرة ، وأما الزكاة فهى فرض عين على كل مسلم وهى ضمن الشعائر التعبدية يدفعها دافعها بوحى من الايمان وبوحى من الضمير .

نعم ان الاسلام كرم المسيح والمسيحيين ، وقدم اليهم الأكف مفتوحة للدخول فى دائرة الايمان الصحيح ، ألم يكن حقا على كل منصف أن يتذوق حلاوة الايمان ويأتى الى كلمة سواء هيأت له الحياة فى الدارين ، نعم ان ذلك دين القيمة ، نعم رضيت بالله ربا وبالاسلام دينا وبسيدنا محمد نبيا ورسولا ، اللهم انى أشهدك وأشهد جميع خلقك وملائكتك أنك أنت الله ربى لا شريك لك ، وأن محمدا عبدك ورسولك .



الفصل السادس عشر

منهج الإسلام

في إصلاح عقائد الألوهية والربوبية

وجدت كل ما درست من أديان قبل دراستى للاسلام قد انحرفت بعقائدها انحرافا شنيعا ، ولم يكن هذا الانحراف وقفا على الامم الوثنية ، بل طغى أيضا على أصحاب الاديان السماوية ، حيث قد لعبت أيدى القيادات الدينية فى كتب الانبياء والمرسلين ، فحرفوا فيها وبدلوا وغيروا متعمدين بسوء نياتهم ، وشوهوا جلال التوحيد فى كتب هؤلاء الانبياء وشرائع المرسلين ودرست هذا الضلال الشائع فى عقائدهم والمستولى على تدينهم ، حتى ثبت الى رشدى وبدأت أتنسم رائحة هذا الضلال وبدأت الدرس والبحث والتمحيص حتى وصلت الى دراسة الاسلام ٠

فوجدت أن الاسلام قد حرر العقول من الاباطيل والخرافات ، وأصلح ما ضل من العقائد وما فسد من الاعمال ، وكشف عن جنايات المتلاعبين والمخرفين والمبدلين وتجار الاديان ، وكان اصلاح ما أفسدته هذه الشرذمة الخارجة عن رحمة الله أول ما عنى به الاسلام وهو تصحيح هذه الاوضاع الفاسدة ، لان تصحيح هذه الاوضاع هو من أهم الاسس فى كل تشريع سماوى .

فقد عنى القرآن الكريم بتوضيح عقائد الالوهية والربوبية عناية كبرى ، فى أساليب أخذت بمجامع القلوب والعقول البلاغية وقوتها الروحية القدسية ، واشتمالها على قضايا العقل والعلم ، وودائع الفطرة والوجدان ، وتصويرها للمعانى والاحكام فى ابداع مما لا يدع حجة لمحتج ولا معذرة لمعتذر .

ولقد عالج القرآن هذه الامور — أمور الالوهية — بأساليب متعددة نأخذ منها على سبيل المثال لا الحصر :

وجه العقول والافكار الى النظر فى ملكوت السموات والارض وما فيها من الآيات الكونية والادلة العلمية على وجود الله الذى خلقها ، وكيف تجلت قدرته وعظمته وهى تشهد بذلك كما قال سبحانه وتعالى فى سورة آل عمران :

« ان فى خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولى الألباب » .

وفى سورة ق : **« أفلم ينظروا الى السماء فوقهم كيف بنيناها وزيناها ومالها من فروج ، والارض مددناها وألقينا فيها رواسى وأنبتنا فيها من كل زوج بهيج ، تبصرة وذكرى لكل عبد منيب » .**

وفى سـورة الذاريات : « **وفىَ الارض آيات للموقنين ، وفى أنفسكم أفلا تبصرون** » ٠

وفى سورة يس : **وآية لهم الليل نسلخ منه النهــار فاذا هم مظلمون ، والشمس تجرى لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم ، والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم ، لا الشمس ينبغى لها أن تدرك القمر ولا الليل سابق النهار وكل فى فلك يسبحون** » ٠

ان هذه الآيات ومئات الآيات الواردة فى القرآن الكريم صحفا نقرأ فيها دلائل وجود الله عزّ وجل ، ونطالع فى كلماتها قدرته جل جلاله فى الخلق والتدبير وجمالــه تبارك وتعالى فى بدائـــع الموجودات ٠

فالعوالم الكونية هى الرياض الفيحاء التى تتفتح فيهـا براعم الاحاسيس والمشاعر ، ومسرح من مسارح تبصرة القلـوب النقية والبصائر المستنيرة ٠

فاذا نظر الانسان الى نفسه وكيف خلق من العـدم ، وكيف خلق أطواراً فى بطن أمه من نطفة فى قرار مكين ، الى علقة ، ثم مضغة مخلقة وغير مخلقة ، ثم جعل الله المضغة عظاما ثم كسـا العظام لحما ثم أنشأه خلقا آخر فتبارك الله أحسن الخالقين ، وفيما جرى عليه فى نشأته وحياته ، فى طفولته وشبابه ومشيبه ، فاذا به مشمول بالعناية الالهية ٠

ثم نظر الى الارض كيف جعلها الله فراشا وأنزل عليها المـاء فاهتزت وربت وأنبتت من كل زوج بهيج ثم قال للانسان فى سورة الملك :

« **هو الذى جعل لكم الارض ذلولا فامشوا فى مناكبها وكلوا من رزقه واليه النشور** » ٠

ثم أنظر الى السماء كيف أحكم الله بناءها ورفعها بغير عمد تراها ، والى الشمس وضحاها والقمر اذا تلاها والنهار اذا جلاها والليل اذا يغشاها ، والى الكواكب فى لمعانهـــا وهى تسبح فى أفلاكها بحمد خالقها ومبدعها لقوله تعالى فى ســـورة الاسراء : « **تسبح له السموات الســبع والارض ومن فيهن ، وان من شىء الا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم انه كان حليما غفورا** »٠

أو تدبر قول الله فى ســـــورة الواقعـــة : « **فلا أقسم بمواقع النجوم وانه لقسم لو تعلمون عظيم** » وفى سورة الحاقة : « **فلا أقسم بما تبصرون ومالا تبصرون** » وأدرك مافى هذا القسم الالهى من توجيه للنظر وايقاظ للفكر واثارة للعبر ، وتنويه بشأن هذه المواقع التى أقسم الله بها ، ومافيها من الدلائل على عظمة المبدع وجلال الخالق ، وأخذ يفكر فى عظم هذه المواقـــع التى أعظم الله شأن القسم بها ، ويسائل نفسه عن مــــدى هــــذه العوالم التى لا نبصرها ولا نعلمها وعرف أن منها ما يحيط بنا ويشاركنـــا فى وجودنا وحياتنـــا ولكنها لا تزال محجوبة عن العلم رغم اتســاعه وتقدمه ومنها ما يغيب عنا وراء حجب الغيب وأبعاد الفضــاء ، فلا تدركها الابصار ولا تحيط بعظمتها العقول والافهام اذ لا يحيط بالعوالم الكونية الا الذى خلقها وأبدعها ٠

اذا هدى الانسان الى كل هذه الانظار أو الى بعضها ، فانه يجد نفسه منساقة بدافع قوى من عقله وفكره ، وجاذب شديد من

ضميره ووجدانه الى الايمان بالله الصانع المقتدر الذى خلق هذه العوالم الكونية بقدرة ومشيئة العليم الخبير الذى أحكم تقديرها وتنظيمها بعلمه وارادته ، المدبر الحكيم الذى يدبر أمورها ويصرف شئونها بحكمته ورعايته ٠

ومن هنا نجد أن طريق الوصول الى معرفة الله والايمان به واضح المعالم قريب المنال ، متى صلحت القلوب واستنارت البصائر ، وتحررت النفوس من ظلمة الجهل وطغيان الهوى ، واستقامت العقول فى نظرها وتفكيرها واتجهت بمقاصدها الى طلب الحق والكمال وصحة الاعتقاد ، وخضعت فى أحكامها لدلالة الحجة والبرهان ، واستجابت فى تفكيرها لوحى الفطرة والوجدان فان وجود الله تعالى ماثل أمام العقول فى جميع الكائنات ، والاحساس بألوهيته وربوبيته كامن فى أعماق النفوس ، والشعور بعظمته وجلاله منبث فى حنايا الضلوع ، ولكن أكثر الناس ضلوا عن هذه الحقائق وهى على كثب منهم ٠

فريق حجبه الف العادة أو ظلمة الجهل والتقليد الاعمى عن الاستماع لوحى الله أى وحى الفطرة والوجدان ، فغفل عن النظر فى آيات الله الكونيةفعموا عن دلائلها التى تطالعهم بها فأصبحوا عنها معرضين كما قال تعالى فى سورة يونس : « **وان كثيرا من الناس عن آياتنا لغافلون** » ، وفى سورة يوسف : « **وكأين من آية فى السموات والارض يمرون عليها وهم عنها معرضون** » ٠

وفريق حجبه عن هذه الحقائق مرض القلوب ، واعتلال البصائر ، وانحراف العقول فى نظرها وتفكيرها ، والخضوع

لسـيطرة الاهواء وطغيانهـا ، والاقبـال على شـئون الدنيـا ، والاعراض عن شئون الآخرة ففرحوا بالحياة الدنيا وكفروا بآيات ربهم ولقائه ، وضل سعيهم وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا كما يشير الى ذلك قول الله تعـالى فى سورة الرعد : « **وفرحوا بالحياة الدنيا وما الحياة الدنيا فى الآخرة الا متاع** » وفى سورة الكهف : « **قل هل ننبئكم بالأخسرين أعمالا ، الذين ضل سعيهم فى الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا ، أولئك الذين كفـروا بآيات ربهم ولقائه فحبطت أعمالهم فلا نقيم لهم يوم القيامة وزنا ، ذلك جزاؤهم جهنم بما كفروا واتخذوا آياتى ورسلى هزوا** » .

وقد وجه القرآن النـاس الى البراهين العقلية على وحدانية الله عز وجل وأنه تعالى لا اله غيره ولا رب سواه ، كقوله تعالى فى سورة المؤمنون : «**ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من اله ، اذا لذهب كل اله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض ، سبحان الله عما يصفون** » ، وفى سورة الاسراء : « **قل لو كان معه آلهة كما يقولون ، اذا لابتغوا الى ذى العرش سبيلا سبحانه وتعالى عمـا يقولون علوا كبيرا** » ، وفى سورة الانبياء : « **لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا فسبحان الله رب العرش عما يصفون** » .

ان الخلق والايجاد ، والقهر والغلبة ونفوذ السلطان والارادة هى من أخص شئون الالوهية وصفات الربوبية فلا يجوز فى حكم العقل أن يكون الاله عاجزا مغلوبا على أمره أو مقهورا لسلطان غيره خاضعا لارادته لمنافاة ذلك لصفات الالوهية والربوبية ، فلو كان مع الله آلهة كما يزعم القائلون بتعدد الآلهة ، لوقع التنازع

والتصادم بينهم فى الافعال والارادات ، والنفـــوذ والسلطان ، ولذهب كل اله بما خلق واستقل بتدبير أموره وتصريف شئونه ، ومنع غيره من الاستيـــلاء عليه أو التصرف فى شئونه ، ولعلا بعضهم على بعض بالقهر والغلبة وتنازع الســـلطان ، ولطلبوا سبيلا للوصول الى صاحب العرش وهو الله جل جلاله الذى أخبر على ألسنة رسله بأنه هو مالك الملك وحده ، **ليقاتلـوه وينازعوه** الملك والسلطان والنفوذ ٠

كما وجه القرآن الى الاخذ بالفطرة الســليمة ، ومراجعـــة الضمير والسريرة كما أخذ الحجة من المعانـــدين ليقيمها عليهم بما يعترفون به فى قرارة نفوسهم وما يعلمونه حق العلم بوحى فطرهم وأحاسيسهم كقوله تعالى فى سورة العنكبـــوت : « **ولئن سألتهم من خلق السموات والارض وسخر الشمس والقمر ليقولن الله فانى يؤفكون** » ٠

وفى ســورة يونس : « **قل من يرزقكم من السماء والارض ، أمن يملك السمع والابصار ومن يخرج الحى من الميت ، ويخـــرج الميت من الحى ، ومن يدبر الامر ، فسيقولون الله ، فقل أفلا تتقون، فذلكم الله ربكم الحق ، فماذا بعد الحـــق الا الضـــلال ، فانى تصرفون** » ٠

يتبين من الآيات أن رسول الله صلوات الله عليه بلى بهؤلاء الذين زاغوا عن فطرتهم مما جعل الله سبحانه وتعالى يسألهم على لسانه ، عمن خلق السموات والارض وسخر الشمس والقمر ، ومن يرزقهم من السماء والارض ٠ ومن يملك الاسماع والابصار خلقا

وحفظا ومن يخرج الحى من الميت ويخرج الميت من الحى ، ومن يدبر أمر الكائنات كلها وهو يعلم سبحانه وتعالى بأنهم سيجيبون وسيعترفون باسناد ذلك كله لله ٠

ويقرر القرآن عقائد التقديس والتنزيه عن صفات الحوادث كما فى قوله تعالى فى سورة الانعام : « **بديع السموات والارض أنى يكون له ولد ولم تكن له صاحبة وخلق كل شىء وهو بكل شىء عليم** » ٠ وفى سورة مريم : « **وقالوا اتخذ الرحمن ولدا ، لقد جئتم شيئا ادا ، تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الارض وتخر الجبال هدا ، أن دعوا للرحمن ولدا ، وما ينبغى للرحمن أن يتخذ ولدا ، ان كل من فى السموات والارض الا آتى الرحمن عبدا** » ٠ وقوله تعالى فى سورة الاخلاص : **قل هو الله أحد ، الله الصمد ، لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد** » ٠

فالله جل جلاله واحد فى ذاته العلية منزه عن التركيب والتجسيم والتحيز وهو سبحانه الصمد ، أى السيد الذى ليس فوقه سيد ، والذى يصمد اليه ويقصد فى الحوائج والمطالب ، وهو الغنى المطلق الذى لا يحتاج الى شىء ويحتاج اليه كل شىء ، والمقصود الذى يقصده كل كائن حى ، كل شىء بارادته « **لم يلد ولم يولد** » ، أى لم يلد أحدا ، لأن الوالدية تستلزم التركيب والمجانسة ، لان الولد جزء من أبيه ٠ ومجانس له فى ذاته وصفاته ، ولم يلده أحد لان المولودية تستلزم التركيب والمجانسة والمماثلة ، والحدوث وسبق العدم ٠ والله تعالى منزه عن ذلك كله فهو واجب الوجود الذى لا أول لوجوده ولا آخر لبقائه « ولم يكن

له كفوا أحد » أى ليس أحد متكافئا ومماثلا له فى ذاته وصفاته وأفعاله ، بل هو الله وحده مثلما وصف نفســه تبارك وتعالى فى سورة الحديد : **هو الاول والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شيء عليم** » • أى السابق على جميع الموجودات بلا بدايــة ، والباقى بعد فنائها بلا نهاية ، والظاهر وجــوده فى بدائع الكائنــــات ، والمحتجب بذاته تعالى عن ادراك الحواس والعقول وهو بكل شيء عليم •

ولم تقف عناية الاسلام بعقائد التنزيه والتقديس عند تقريرها وتفصيل أصولها ، بل حاطها بسياج من الاحتياط وسلامة الاعتقاد والتحفظ والاعتدال فى النظر والتفكير ، وسد على الوهم والخيال منافذ التشبيه ومسالك الزلل • كما فى قوله تعالى فى ســـورة الأنعام : « **لا تدركه الابصار وهو يدرك الابصـــار وهو اللطيف الخبير** » ، وفى ســـورة طــه : « **يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يحيطون به علما** » ، وفى سورة الشورى : « **ليس كمثله شيء وهو السميع البصير** » •

الى غير ذلك من الآيات التى تقرر أن الله جل جـــلاله قد احتجب عن العقول كما احتجب عن الحواس • وتعالت ذاته العلية عن الاحاطة والادراك وتنزهت صفاته القدسية عن المماثلة •

ونبى الاسلام يشهد دائما لله بالوحدانية « **انما الهـــكم اله واحد** » كما أمر فى سورة الكهف : « **قل انما أنا بشر مثلكم يوحى الى انما الهكم اله واحد**» ، ومن هذا الوحى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « **ان الله قد احتجب عن العقول كما احتجب عن**

الأبصار وان الملأ الأعلى ليطلبونه كما تطلبونه أنتم » ·

وكان الاسلام حريصا على عقائد الناس ولـــذا وجههم الى التفكير فى صفات الله عز وجل وعدم التفكير فى ذاته العلية لان ذاته العلية غير محاطة بزمان أو بمكان ، وذلك لقول الاسلام ونبى الاسلام صلوات الله عليه « تفكروا فى مخلوقات الله ولا تتفكروا فى ذاته » ·

هذا هو منهج الاسلام فى الألوهية والربوبية ، وهذا موقف نبى الاسلام من الوحدانية · وانى قد آمنت بالله الواحد ربآ ، وبمحمد نبيا ورسولا ورضيت الاســـلام دينا وبرئت من كل دين يخالف دين الاسلام ·

الفصل السابع عشر

لماذا آمنت بالإسلام ؟

لعل القارىء يقول عرفنا نواحى الشك التى استولت على المؤلف حتى ترك دينه ، ولكنا لم نعرف لماذا آمن بالاسلام ؟ .

وجوابى يا أخى القارىء على سؤالك يحتاج الى مجلدات ضخمة وقد سبقنى بها أفاضل العلماء الذين حملوا مشاعل الدعوة الاسلامية ولكن لا يمنعنى هذا من أن أجيب فى ايجاز لان هذا من حقك ..

آمنت بالاسلام لانه دين التوحيد الخالص الذى دعا الناس الى عبادة الله وحده ، ويتجلى ذلك فى نداء المؤذن : **أشهد أن لا اله الا الله وأشهد أن محمدا رسول الله** » فيشهد الدنيا كلها أنه لا ايمان الا

بالله واحد أحد · خالق رازق ، قادر بيده الملك وهو على كل شيء قدير ، وقد أفاض الله على من فضله فوضحت ذلك فى الفصل السابق ·

آمنت بالاسلام لانه لم يضع الأغلال فى عنق الانسان ولم يلزمه بخطيئة موروثة عن أب أو جد ، انما ألزمه طائره فى عنقه ليكون مجزيا عما قدمت يداه ، فيقول سبحانه وتعالى : « **وكل انسان الزمناه طائره فى عنقه ونخرج له يوم القيامة كتابا يلقاه منشورا · اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا · من اهتدى فانما يهتدى لنفسه ومن ضل فانما يضل عليها ولا تزر وازرة وزر أخرى وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا** » (١)

واذا أخطأ الانسان أو أذنب ، لم ولن يغلق الله فى وجهه باب التوبة ، وانما يقبل توبته له ويناديه كما ينادى جميع المذنبين : أن تعالوا الى أيها المذنبون وأنا أتوب عليكم : « **وسارعوا الى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والارض** » (٢) ·

والاسلام يحب التوبة والله سبحانه وتعالى يأمر بها عباده اذ يقول : « **يا أيها الذين آمنوا توبوا الى الله توبة نصوحا** » هذا معنى يدل على شدة الرغبة فى أن يعود العبد الى الله ويرجع الى حمى الله ، ومن جهة أخرى نرى الحديث الشريف يقول : « **ان الله يبسط يده بالليل ليتوب مسىء النهار ، ويبسط يده بالنهار**

---

(١) سورة الاسراء

(٢) سورة آل عمران

ليتوب مسىء الليل حتى تشرق الشمس من مغربها » .

هذا تصوير رائع ، لأن بسط اليد كناية عن الطلب ، والطالب لابد أن يكون راغبا ولا بد أن يكون متقبلا « **وهو الذى يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات** » بل ان الله سبحانه بشرع عباده فى آيات مبشرات كثيرة « **قل يا عبادى الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ، ان الله يغفر الذنوب جميعا ، انه هو الغفور الرحيم** ، (ويقول سبحانه : « **أن تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم وندخلكم مدخلا كريما** ») .

ولم يجعل الاسلام المغفرة وقفا على سفك دماء أو جريمة قتل ، ولم يجعل الله واسطة بين العبد وربه فى هذه التوبة حفظا للكرامة وأنه ليس بين العبد وبين الرجوع الا أن يتوب الى الله سبحانه وتعالى ويندم (**والذين اذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم ، ومن يغفر الذنوب الا الله ولم يصروا على ما فعلوا وهم يعلمون أولئك جزاؤهم مغفرة من ربهم وجنات تجرى من تحتها الانهار**) ويقول لنا الحديث الشريف (**ان الله سبحانه وتعالى اذا تقربت اليه ذراعا تقرب اليك باعا واذا أتيته تمشى أتاك يهرول**) .

اذن ليس هناك شرط الاعتراف حتى تقبل التوبة ، والا فتصور أن امرأة أو فتاة مذنبة وقع منها أمر فاحش فجلست أمام كاهن أو راهب أو قسيس لتدلى اليه باعترافها وتقول له انى قد أذنبت ذنب كذا : زنيت أو فحشت أو ما الى ذلك ، أليست بذلك تعرض سرها للانكشاف وتعرض كرامتها للضياع وتعرض حصانتها للتزلزل

وتجعل هذا الرجل باعتباره بشرا يطمع فيها ويعلم أنها من الصنف الذى يتقبل ؟

أين هذا من الاسلام الذى يقول (ونحن أقرب اليه من حبل الوريد) وصدق الله العظيم (**يريد الله ليبين لكم ويهديكم سنن الذين من قبلكم ويتوب عليكم والله عليم حكيم ، والله يريد أن يتوب عليكم ويريد الذين يتبعون الشهوات أن تميلوا ميلا عظيما ، يريد الله أن يخفف عنكم وخلق الانسان ضعيفا**) ٠

آمنت بالاسلام لأنه لم يمتهن كرامة الانسان ، ولم يجعل أحدا مهيمنا على أمور الدين فيقول لتابعه اتبعنى دون تفكير أو تعقل انما جعل الانسان حرا فى هذه الحياة لا ينحنى أمام الضغوط الفكرية أو الاقتصادية أو الاجتماعية ، لا يعرف غير واجبه نحو ربه ٠

آمنت بالاسلام لأنه شرائع ونظم اجتماعية لا تعرف تضخما للجانب التعبدى عن الجانب الاجتماعى لقول الله تعالى (**يا أيها الذين آمنوا اذا نودى للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا الى ذكر الله ، وذروا البيع ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون ٠ فاذا قضيت الصلاة فانتشروا فى الارض وابتغوا من فضل الله** ٠

وعلى هذا النهج سار محمد عليه الصلاة والسلام وأصحابه وأتباعه يعملون للعقيدة والحياة فى آن واحد ، فيمزجون العقيدة بالحياة ، ولا يقفون بها فى معزل وجدانى فى عالم الضمير ويتضح ذلك من المثل الذى ضربه رسول الله صلى الله عليه

وسلم عندما جاء ثلاثة رجال ، قال أحدهم : أنا أصلى الليل كله ، وقال الثانى : وأنا أصوم الدهر كله ولا أفطر ، وقال الثالث : أنا أعتزل النساء ولا أتزوج أبدا ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم (أما والله انى لأخشاكم لله وأتقاكم له . ولكن أصوم وأفطر وأصلى وأرقد ، وأتزوج النساء ، فمن رغب عن سنتى فليس منى) رواه الشيخان والنسائى .

آمنت بالاسلام لأنه حض على العلم والتعلم ، بل جعله فريضة مقدسة واجبة الأداء حيث قال الله تعالى (**فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا فى الدين ولينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم لعلهم يحذرون**) (١) والاحاديث النبوية كلها تحض على العلم وتحث عليه فعنه صلى الله عليه وسلم « **طلب العلم فريضة على كل مسلم** » (٢)

والاسلام لم يلزم المسلم أن يتقيد بنوع من أنواع العلوم دون غيره كما لم يفرض عليه طقوسا يؤديها دون تفكير أو مناقشة لكنهها ، لأنه دين الفطرة الذى لا يعتمد على الغيبيات أو خوارق العادات والامور ، انما قام على المشاهدة والتأمل والتفكر والتدبر

---

(١) سورة التوبة

(٢) رواه البيهقى وابن عبد البر ، قال السخاوى فى المقاصد الحسنة : قد ألحق بعض المصنفين بآخر هذا الحديث و«مسلمة» وليس لها ذكر فى شىء من طرقه وان كان معناها صحيحا اهـ . ص ٢٧٧ .

ولذا نجد الله سبحانه وتعالى فى القرآن يخاطب بعد ذكر العوالم الكونية ، وتطورات الخلق ـ **أولى الالباب ـ لقوم يعقلون ـ لقوم يتفكرون ـ للعالمين ـ لقوم يسمعون** ـ وللقارىء أن يرجع على سبيل المثال لا الحصر الى سورة آل عمران والبقرة والروم ٠

ويمزج الاسلام العلم بالتقوى ويشيد بالعلماء ويرفع منزلتهم ويفرق بين الذين يعلمون والذين لا يعلمون حيث يقول سبحانه : (**هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون**) (١) ويقول تبارك وتعالى «**انما يخشى الله من عباده العلماء ان الله عزيز غفور**» (٢)

اذن كان لابد أن أومن بالاسلام ، لأنه فى الوقت الذى تناصب فيه الكنيسة أصحاب الفكر والنهضة العلمية العداء ، نجد الاسلام يشجع العلم والعلماء ويقف بجوارهم ويؤازرهم ويأخذ بيدهم الى مواطن الاستزادة،وذلك واضح فى اشادة القرآن بالعلماء واشادة نبى الاسلام صلى الله عليه وسلم حين يرفع منزلة العلماء بقوله : (**فضل العالم على العابد كفضل القمر على سائر الكواكب**) ٠

آمنت بالاسلام لانه قرن العلم بالعمل لقول الله عز وجل « **ومن أحسن قولا ممن دعا الى الله وعمل صالحا** »(٣) والمقصود بالعمل فى الاسلام العمل الدينى والمدنى والصناعى والزراعى لقوله تعالى :

« **ليأكلوا من ثمره وما عملته أيديهم أفلا يشكرون** » (٤)

---

(١) الزمر ٠ (٢) فاطر ٠
(٣) فصلت ٠ (٤) يس ٠

ولقول الرسول صلوات الله عليه فى حديث رواه الامام أحمد « ان أشرف الكسب كسب الرجل من يده » • وفى الوقت الذى حض الاسلام فيه على العمل جعل العامل مسئولا عن عمله لقوله تعالى : (**ولتسئلن عما كنتم تعملون**) • ونظير هذه المسئولية قد حفظ الاسلام للعامل حقه فحفظ كرامته وذلك ما رواه البخارى ومسلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « **اخوانكم خولكم جعلهم الله تحت أيديكم** » كما أوجب أن يكون العمل على قدر طاقة العامل لقوله عليه الصلاة والسلام كما روى البخارى ومسلم « **لا تكلفوهم مالا يطيقون** » كما حفظ للعامل حقه فى الأجر سواء كان ذكرا او أنثى لقول الله تعالى فى سورة آل عمران : « **انى لا أضيع عمل عامل منكم من ذكر او أنثى**) ولقول الرسول صلوات الله عليه فى حديث ابن ماجه « **اعطوا الأجير حقه قبل ان يجف عرقه** » كما لم يغفل الاسلام حق موظف الدولة فقد روى أحمد وأبو داود أن الرسول صلوات الله عليه قال « **من ولى لنا عملا وليس له منزل فليتخذ منزلا ، أو ليس له زوجة فليتزوج ، أو ليس له دابة فليتخذ دابة** » •

آمنت بالاسلام لأنه جعل الامر شورى بين الحاكم والمحكوم لقوله تعالى فى سورة آل عمران : (**وشاورهم فى الامر فاذا عزمت فتوكل على الله ان الله يحب المتوكلين**) ، وفى سورة الشورى : (**وأمرهم شورى بينهم**) •

كما أباح الاسلام النقد الذاتى فى حدود الأدب الاسلامى ، وأول من ضرب هذا المثل عمليا الخليفة الأول أبو بكر حين قال فى

خطبته الأولى بعد توليه الخلافة : ان رأيتمونى على حق فأعينوننى وان رأيتموني على باطل فسددونى ·

آمنت بالاسلام لانه طهر المجتمع من المفاسد التى كانت سائدة قبل مبعث النبى محمد صلى الله عليه وسلم وتتلخص فيما قال جعفر بن أبى طالب لملك الحبشة عندما استدعاه ليتأكد من قول سفيرى قريش عمرو بن العاصى وعبد الله بن أبى ربيعة اللذين بعث بهما قومهما ليردوا المهاجرين من المسلمين الأوائل الى الحبشة،وسأله : ما هذا الدين الذى فارقتم فيه قومكم ولم تدخلوا به فى دينى ولا فى دين أحد من هذه الملل ؟ ·

فكان جواب جعفر « أيها الملك كنا قوما أهل جاهلية · نعبد الاصنام ونأكل الميتة ونأتى الفواحش ، ونقطع الارحام ونسىء الجوار ، ويأكل القوى الضعيف ، فكنا على ذلك حتى بعث الله الينا رسولا منا نعرف نسبه وصدقه وأمانته وعفافه ، فدعانا الى الله لنوحده ونعبده ونخلع ما كنا نعبد نحن وآباؤنا من دونه من الحجارة والأوثان ، وأمرنا بصدق الحديث ، وأداء الامانة ، وصلة الرحم وحسن الجوار ، والكف عن المحارم والدماء ، ونهانا عن الفواحش وقول الزور ، وأكل مال اليتيم ، وقذف المحصنات وأمرنا أن نعبد الله ولا نشرك به شيئا ، وأمرنا بالصلاة والزكاة والصيام ··· فصدقناه وآمنا به واتبعناه على ما جاء به من الله فعبدنا الله وحده » (١)

---

(١) كتاب « حياة محمد » للدكتور محمد حسين هيكل ·

أخى القارىء معـذرة لأن المجال لا يتسـع للحديث عن تنظيم الاســـلام للاسرة والمجتمع والحيـــاة الاجتماعية والاقتصادية والحريات بأنواعها والمساواة وغيرها ، لأن هذا الكتاب له نهـج خاص وكما سبق القول ان الاسلام يحتاج لمجلدات وقد خرجت من يوم بعث الرسول الى الآن مجلدات لم تف الاسلام حقه . ولـكن ما ذكرت جزء من جزء من بعض الاجابة على سؤالك .

يسعدنى هنا أن أوضح لأخى القارىء : ان لى كتابا متواضعا عنوانه « الاديان فى كفة الميـــزان » بمكتبة الخانجى أمام قسم عابدين بشارع عبد العزيز ، قارنت فيه بين اثنى عشر دينا وبين الاسلام تناولت فيه العقيدة ، والانســـان والاسرة ، والمجتمع ، والمساواة الانسانية والاقتصادية والحـــريات المدنية والسياسية والدينية والفكرية فى كل دين على حده ثم قارنتهـــا بالاســـلام فرجحت كفة الاسلام .

جعلنا الله جنودا مخلصين للاسلام نفنى فيه ونحيا من أجله ونموت عليه انه نعم المولى ونعم النصير .

كلمة لابد منها

بعد آخر كلمة أفاض الله على بهـا فى هذا الكتاب وجدت نفسى فى صراع بين الواجب وعوامل متعددة ، اذ مرت بى فترة عصيبة شلت من نشـاطى العملى والفكرى حتى هيـأ الله لى رجالا آمنـوا بربهم وبحق الانسانيـة عليهم فغمرونى بفيض مآثرهم التى أعادت الى نشـاطى مما جعلنى أوفق بين الواجب والعـوامل ، فـلم أذكر أسماءهم واتجهت الى من يعلمهم داعيـا : اللهم أكرم من أكرمنى لأنى لا أسـتطيع رد الجميل وتركت لك حسن مجازاتهم ، فجزاؤك خير الجزاء ٠

مــراجـع الكتـاب

مراجع اسلامية :

القرآن الـكريم ٠

تفسير المنـار : للشيخ محمد عبـده ٠

صحيح مسـلم ٠ صحيح البخـارى ٠

كتاب التـاج فى الحديث ٠

سـيرة ابن هشـام

حيـاة محمد : للدكتور محمد حسين هيكل ٠

الملل والنحـل : للشهرسـتانى ٠

مراجع غير اسلامية :

الكتاب المقدس : طبعة بيروت ٠

الخولاجى : غرغارى وباسيلى « طبعة مكتبة المحبة »

الأجبية : « طبعة مكتبة المحبة » ٠

العقائد الكنسية : « طبعة بيروت » ٠

المسـيح الصريح : للمؤرخ الألمـانى (لودفج)

الطبعة الانجليزية :

المخطـوطات القديمـــة لبعض البطـاركة والمطـــارنة

التلمـــود ـ انجيـل برنابا ٠

محتويات الكتاب

صفحة

رقم الايداع ١٩٨٠/٣٥٧١

دار المعلم للطبـاعة

هــذا الكتاب

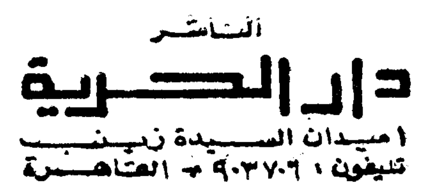
● سمعت عنه وقرأت له قبل أن القاه ، وتأكدت بإحساس المؤمن أن هــذا الرجل **صادقا** فيما اعتنقه ، وتحول احساسى الى حقيقة حينما تتبعته محاضرا فى الإسلام وداعيــة له ، ولم يكن هــذا بالغريب على انسان اقتنع بالإسلام فهــاجر الى الله الواحد ، ورسوله المصطفى صلى الله عليه وسلم ٠

أو كما يقول المؤلف نفسه ٠٠٠

« نعم إن الإسلام كرم المســيح والمسيحيين ، وقدم اليهم الأكف مفتوحة للدخول فى دائرة الإيمان الصحيح ، ألم يكن حقــا على كل منصف أن يتذوق حلاوة الايمــان ويأتى الى كلمة سواء هيأت له الحيــاة فى الدارين ، **نعم ان ذلك دين القيمــة ، نعم رضيت بالله ربا ، وبالاسلام دينــا ، وبسيدنا محمد نبيــا ورسولا ٠٠٠**

اللهم انى اشهدك واشهد جميع خلقك وملائكتك انك أنت الله ربى لا شريك لك ، وأن محمدا عبدك ورسولك » ٠٠

عبدالتواب عبدالعزيز



الناشر
دار الحرية
١ ميدان السيدة زينب
تليفون ٩٠٣٧٠٦١ ـ القاهرة

الثمن ٦٥ ص